

وهيب كامل

هيراودوت في مصر

مقدم الطبع والنشر
دار المعارف
بمصر

هيرودوت في مصر

القرن الخامس قبل الميلاد

تأله من اليونانية

وهيب كامل

مدرس في كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

مكتبة الطبع والنشر

دار المعارف

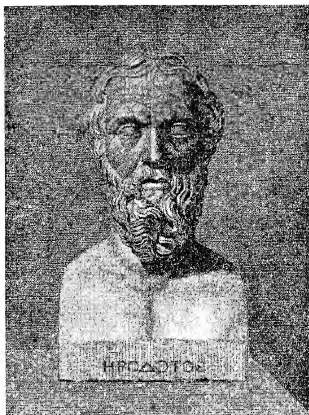
بمصر

المشتمل

	الرقم يشير إلى الفصل
غزو قمبيز لمصر	١
وصف مصر	٢ — ١٣
الزراعة في مصر	١٤
حدود مصر	١٥ — ١٨
النيل	١٩ — ٣١
داخلية ليبيا	٣٢
مقارنة بين نهري النيل والبطوننة	٣٣ — ٣٤
العادات المصرية	٣٥ — ٣٦
الطقوس الدينية	٣٧ — ٤٨
الصلوات بين الدين المصري والدين اليوناني	٤٩ — ٥٧
الأعياد المصرية	٥٨ — ٦٤
الحيوانات المقدسة في مصر	٦٥ — ٧٦
الحياة اليومية في مصر	٧٧ — ٨٤
الجنائز	٨٥ — ٩٠

الرقم يشير إلى الفصل

عبادة پرسوس	٩١
عادات سكان إقليم المستنقعات	٩٥ - ٩٣
السفن المصرية	٩٦
الملاحة الداخلية في وقت الفيضان	٩٧
مينا وخلفاؤه	١١١ - ٩٩
قصة هيلين	١٢٠ - ١١٢
رامبسينيتوس	١٢٢ - ١٢١
تناسخ الأرواح	١٢٣
بناء الأهرام	١٢٥ - ١٢٤
الأجاش في مصر	١٤٣ - ١٣٦
عهد الآلهة	١٤٦ - ١٤٤
الآلهة الإثني عشر	١٥٢ - ١٤٧
أسرة بنماتيك	١٦٩ - ١٥٣
قبر أوزوريس	٠٧١
العقائد السرية المصرية	١٧١
أمازيس	١٨٢ - ١٧٢



هیرودوت

مقدمة

هيرودوت

١ - حياته وفنه

لقد ضمن التاريخ على أبي التاريخ بحفظ قصة حياته في سجله الذى ويشك أن يسع كل شيء . فليس لدينا من الوثائق ما يتيح لنا أن نقطع برأى فى تاريخ مولده أو مماته أو حادثه من حوادث حياته . وإن الصورة الذهنية التى يتمثلها قراء التاريخ لهيرودوت مستخلصة من كتاب هيرودوت نفسه .

قال جيليموس فى كتابه « اللبالي الآثينية » (١٥ ، ٣٣) إن هيرودوت ولد عام ٤٨٤ ق.م . ولكن جيليموس ليس حجة معتمدة فى إثبات التواريخ فلنأخذ بما قال فى حيلة وحذر . ويبدو من كتاب هيرودوت أن صاحبه قد شاهد بعض حوادث الحرب الپلورونيزية (٤٣١ - ٤٠٤ ق.م) فى مرحلتها الأولى . وإذن فمن المرجح أن يكون هيرودوت قد عاش بين الحرب الميديية (٥٠٠ - ٤٧٥ ق . م) التى دفعت بحضارة اليونان إلى ذروة المجد ، وبين الحرب الپلورونيزية التى كادت تودى بهذه الحضارة . فهو إذن كان يتنفس فى العصر الذهبى من التاريخ اليونانى .

ولد هيرودوت في مدينة هاليكارناسوس في إقليم كارية في الجنوب الغربي من آسيا الصغرى ، فإذا أخذنا بما قرره جيليموس من تاريخ مولده فقد ولد إذن من رعايا ملك الفرس . وتعلم في وطنه فأتقن القراءة والكتابة والحساب . ثم عكف على الموسيقى ونهل من معين الشعر فورد منهل هوميروس واغترف منه كلفاً منهوماً ، وتذوق شعر سائر الشعراء . أما النثر ، ولم يكن قد بلغ قبله شأواً بعيداً ، فقد ألمَّ به ونظر فيه .

ولم تكن الأحوال مستقرة في هاليكارناسوس إذ لم تكن التقاليد الديمقراطية ثابتة الدعائم فيها ، فقام فيها طاغية يدعى ليجداموس اضطهد خصومه وتسفف في إيدائهم ، وقتل فيمن قتل عم هيرودوت الشاعر پانياسيس . وأغلب الظن أنه نفي مؤرخنا وصادر أملاكه ، فهجر موطنه إلى جزيرة ساموس فيما يظهر . فقد كان خبيراً بمواقعها وأحوالها ولعله أتقن هناك اللهجة الأيونية التي كتب بها . لكنه ظل على علم تام بما يجري في موطنه من حوادث وبالتيارات السياسية المختلفة التي تسوده ، وبروح مواطنيه المعنوية . فلما واثته الفرصة رجع إلى وطنه وعاون في طرد الطاغية وتثبيت النظام الديمقراطي . ولكنه فيما قال المؤرخ سويداس (تحت اسمه) لم يجد نفسه محبوباً لدى قومه فهجرهم طائماً مختاراً إلى مدينة ثوريوم في الوقت الذي كان أهل آثينا يستعمرونها فيه . ومات في ثوريوم ودفن في سوق المدينة . تلك رواية سويداس ليس علينا من بأس إذا أخذنا بها فليس هناك ما يناقضها .

وكان هيروdot شديد الإعجاب بأهل أثينا فزارهم ، وروى لهم ماتيسر من قصصه التاريخي ، فاعترفوا بما أسداه إليهم من نفع وما قدمه لهم من متعة فقرر مجلسهم النيابي سنة ٤٤٥ ق . م أن يمنح عشرة طالنت مكافأة له على إحسانه . ولم تكن زيارته تلك عابرة ففي تاريخه ما يفيد معرفته التامة بمواقع البلاد ونفسية أهلها مما لا يتيسر إلا بالإقامة الطويلة بين ظهراني أهلها . وفي أثينا توطدت أو اصر الصداقة بينه وبين سوفوكليس الذي أعجب لاشك بكتاباته فأشار إليه في بعض رواياته ، وأهدى له مقطوعة من شعره . ويظهر أن شهرة هيروdot طبقت أثينا كلها وسرت في مختلف طبقاتها ، فقد أشار أريستوفانيس إلى « تاريخ هيروdot » في كثير من مسرحياته ، وليست الكوميديا مجالاً للإشارة لغير المعروف المشهور لدى الجمهور .

لعل ذلك هو كل ما نستطيع أن نقرره على وجه التحقيق من قصة أبي التاريخ . أما حياته ، وهيئته ، ورحلاته ، ومؤلفاته ومنهج تأليفه فكلها مجال للظن والتخمين والاستنتاج .

فإن مصادرة أملاكه ونفيه وقتل عمه على يد الطاغية ، ورجوعه إلى وطنه لطرده الطاغية أمور تشير كلها إلى أنه كان من بيت كبير ، له بين القوم حظوة أثرية ومكانة عالية وصوت مسموع . وإن في رحلاته المدينة البعيدة الشقة في عصر تصعب فيه الرحلة وتبهبز فيه نفقاتها دليلاً على أن الرجل كان ميسر الحال قادراً على الاتفاق على هذه الرحلات .

وليس في كتابه بعد ذلك ما ينير الطريق أمام مترجم حياته . فقد كان من الدروس التي تعلمها عن هوميروس وأثينا أن يخفى شخصيته في فنه ، فلا يتناول نفسه وعواطفه ودوافعه بالبيان والإيضاح . فصارت الموضوعية غالبية على كل مقال ، فيما عدا ما يذكره أحيانا من أنه رأى هذا الشيء أو ذلك بعيني رأسه أو ارتحل إلى هنا أو هناك ليقف على الحقيقة بنفسه .

فتى كانت هذه الرحلات ؟ وما السابقة منها وما اللاحقة ؟ وكيف دبر أمرها ؟ وكيف أنفق عليها ؟ وهل صحبه أحد فيها ؟ كل هذه أسئلة لا جواب في تاريخه عليها . ولكن الكتاب في جملته شاهد على أنه زار مصر وصعد فيها جنوباً إلى الشلال الأول ، وزار سوريا وجاوز بابل وسوسا وهندان ، وتنقل بين شواطئ البحر الأسود وجنوب روسيا ، أى أنه ارتحل مسافة ٣١ درجة طول من الشرق إلى الغرب و ٢٤ درجة عرض من الشمال إلى الجنوب .

ولكن تاريخ هذه الرحلات كما قلنا مجهول ، اللهم إلا ما نعرف من أنه زار مصر بعد عام ٤٥٩ ق. م. وأنه قد زار سكيثيا قبل ذلك التاريخ . وغرضه من هذه الرحلات مجهول كذلك . فهل زار هذه البلاد ليجمع مادة لتاريخه بعد أن قد اختصر الموضوع في ذهنه فترة طويلة من الزمان ؟ أم أنه زار هذه البلاد بدافع من التجارة والربح فجاء تاريخه نتيجة لهذه الزيارات ؟

حقاً إن هيرودوت زار كثيراً من المرافئ وعنى ببيان طرق النقل ،

وأظهر معرفة واسعة بالسلع وأنواعها وطرق تمييزها وأسواقها المختلفة مما يرجح
 الرأي الثاني . ولكن زيارته شملت المراكز الثقافية كما شملت المراكز
 التجارية ، ثم أنه يقول صراحة إنه أبحر من مصر إلى صور ليستوثق من
 رواية البعض في هرقل (٤٤) . فإذا كان ترحاله بنية الوقوف على
 الحقائق التاريخية وجمع مادة تاريخه بالسمع والمشاهدة أو جمع المخطوطات ،
 فكيف كان يحصل معاشه وقد كان مشرداً منفيًا ؟ ومن أين له القدرة
 والخبرة بالقراءة المجودة حتى استحق ما نال من مكافأة في آثنا ؟ أغلب
 الظن أنه كان يجرد من الجاليات اليونانية المغتربة فيما زار من أصقاع جمهوراً
 استمع إلى ما روى من تاريخ ، فكسب الشاعر خبرة بفن الإلقاء ورزقاً
 استعان به على الحياة ومتابعة الرحلات .

كان هدف هيروdot كما أثبتته في مستهل تاريخه هو كتابة تاريخ
 الحرب اليونانية الفارسية أو الحروب الميدية . ولكنه رأى أنه لا بد للوصول
 إلى أسباب هذا الصراع العنيف في جذورها البعيدة من وصف نشوء
 الامبراطورية الفارسية ، فكتب تاريخ ليديا ووصف فتوحات كرويسوس
 وأعماله مقدمة لنشوء الامبراطورية الفارسية . وقد غزا الفرس مصر ، فكان
 ذلك إيذاناً باستطراد طويل في وصف مصر وعادات أهلها ورواية تاريخها
 في كتابه الثاني .

وكانت حملة دارا على الاسكيثيين فاتحة استطراد طويل آخر في وصف

سكيثيا وعادات أهلها ، ثم تستقيم الرواية بمد ذلك إلى الكتاب التاسع وقد
 عنون كل كتاب منها باسم زبة من ربات الفنون الأدبية التسع ، وتطرد
 فيها الرواية بعض الاطراد . فقد كان من واجب المؤرخ عند هيرودوت أن
 يضيف إلى روايته كل ما من شأنه أن يفتن الجمهور ويشير فيه حب
 الاستطلاع . فالاستطراد محبب إلى قلبه يلجأ إليه بل هو يسعى إليه ليزيد
 من طلاوة موضوعه وحسن وقعه في النفوس . فجاء كتابه تاريخاً للشرق
 الأدنى كله ، وموسوعة في معتقدات أهلها ، ووصفاً للعالم كما عرفه اليونانيون
 المعاصرون .

هذا الموج المتلاحق من المعارف والمعلومات يتدفق في قوة واصطفاق
 ينحني أحياناً في استطراد يقصر أو يطول ولكنه يجمع آخر الأمر حول
 المواقع الخالدة في تاريخ اليونان ، حول ماراثون وثرموبيلاي وسلاميس
 وبلاتيا . فها هي القوة التي تدفع هذا التيار - على الرغم من هذه الانحناءات
 الكثيرة - إلى هدفه في قوة وسرعة ويسر؟ هي لا شك الوحدة الفنية .
 وإنا لا نغنى وحدة الموضوع فالاستطراد وحده كان كفيلاً بالقضاء عليها ،
 ولا وحدة المكان فالرحلات المتعددة ثمينة وحدها بإخفاؤها ولكننا نغنى
 وحدة الحركة التي تتجلى في تاريخه كما تتجلى في روائع الأدب المسرحي
 اليوناني .

كانت هذه الموسوعة التاريخية مستقاة بالطبع من مصادر متعددة ،
 تصف حضارات لا يعرف المؤرخ لغاتها ، ولم تكن كتابة التاريخ قد نحت

نحو العلم بعد ، فقد كانت يومئذ فناً أديباً خالصاً . ولم يكن تمحيص الروايات وترتيب المصادر بحسب جدارتها بالاعتماد من هم المؤرخ في القرن الخامس قبل الميلاد . فإذا اختلفت المصادر هذا الاختلاف البين ، وتعددت الروايات في الشيء الواحد تعدداً كبيراً ولم يكن للمؤرخ منهج واضح يعصمه من الزلل كلما التوت به السبل أو تشعبت به الطرق ، كان من الطبيعي أن تجيء روايته متفاوتة من حيث قربها من الحقيقة أو بعدها عنها . وهكذا نجد صفحات هيروودوت تقرب تارة من الحق حتى تكاد تصيب كبده ، وتجانبه أحياناً حتى لتكاد تجافيه . وليس على المؤرخ في ذلك كله من بأس ، فقصارى جهده أن يثبت ما سمع وأن يشير الشك في نفس جمهوره إذا لم تكن الرواية جديرة بالتصديق .

ولما كانت مؤانسة الجمهور هدفه الأول فقد عمد إلى القصص الشعبي يزجيه له في عذوبة جرس وسلاسة عبارة ، ولو كان هذا القصص مما لا يرقى إلى مرتبة التاريخ . ولكن القصص الشعبي يدخل هو كذلك في مجال التاريخ ، ومعتقدات قوم بشأن أنفسهم في فترة من الفترات هي كذلك من لباب التاريخ .

ويمتاز فن القصة عند هيروودوت بخصلة لا تفارقه هي ولعه الشديد بتصوير الشخصيات مستقلة منفردة كما يتجلى في صور قورش وقبيز ودارا واكرزكيس وملوك أسبرطه ، ونميستكليس وأرستيديس من زعماء

أثينا . وقد تجلت قدرته هذه في كتابه الثاني في مصر في صورة أمازيس (١٦١ - ١٦٣ ، ١٧٢ - ١٧٦) . ولقد دفعه هذا الولع بتصوير الشخصيات إلى العناية بالجانب الشخصى من حياة أبطال قصصه ، ليضفي على صورها حياة وحركة كما نرى في قصة تجربة بسمايك (٢) وفي قصة كنز رامسينيتوس (١٢١)

ولم يقتصر ولعه بتصوير الشخصيات على تصوير أبطال قصصه من الأفراد ، بل تعداه إلى تصوير شخصية الشعوب التي تصطرح في ميدان تاريخه الفسيفسائي ، فقد ميز صورها في أذهان جمهوره بما رسمه من مقوماتها ومشخصاتها ، فالعصرى خاشع متدين ، والفارسي مترف خانع ، والآثيني شهم متهور ، والأسبرطي أناني متمتر .

وأجاد هيروdot وصف الشعوب البدائية من الاسكيثيين والتراقيين وأهل شمال أفريقيا ، فأبرز مميزاتهم وخصائصهم ونفذ إلى دروب نفوسهم ومسالك تفكيرهم . ولكنه لم يوفق توفيقاً كبيراً في فهم أصحاب الحضارات الشائخة والتراث الفكري التالذ ، من بابليين ومصريين وليديين .

وثمة خصلة أخرى لا تفارق هيروdot هي تجرده من عقائد أهل زمانه للموروثة ونظراته إلى الأشياء نظرة أصيلة ذاتية ، فأعانه هذا على فهم الحضارات المختلفة وبيان وجوه امتيازها عن الحضارة اليونانية حتى اتهمه بعض النقاد بالتعصب للأجانب وتفضيلهم على اليونانيين .

واتهم هيروdot أحياناً بفرارة الذهن وسرعة التصديق ولكن نظرة

عابرة في تاريخه ترىنا أنه كان شديد التحرز في رواية مصادره الشفوية ، شديد الاحتفال بإسناد الأقوال إلى قائلها ، فاذا ارتاب في صحة رواية بدأها بالتشكيك فيها والتهوين من شأنها .

ولقد كانت معلوماته الجغرافية سبباً في سخط كثير من النقاد عليه . والحق أن معلوماته في هذه الناحية ناقصة معينة ، ولكنها على أية حال تمثل ما كان سائداً في عصره من آراء ، فليس فيمن سبقه من الكتاب من كان أكثر منه علماً بالجغرافيا .

فقد كان هيروودوت يعتقد مثلاً أن الأرض مسطحة . وكان هذا رأى هيكتايوس أيضاً . ولكن هيكتايوس اعتقد أن الأرض دائرة مسطحة يحيط بها الأوقيانوس . أما هيروودوت ففرض بذلك الرأى عرض الأفق زاعماً أنه وهم في خيال الشعراء (٢٣) . هذا مع أن نظرية كروية الأرض كان يتنادى بها الفيتاغوريون قبل نهاية القرن السادس قبل الميلاد ، ولكنها لم تقبل في مختلف الدوائر إلا بعد زمن هيروودوت بقرن من الزمان عندما كتب أرسطو حججه فيها .

وكان تصويره الجغرافي كذلك قاصراً . فهو يروى كيف أن السفن المصرية أبحرت في عهد نيخوس (٦٠٩ - ٥٩٣ ق . م) من البحر الأحمر ووصلت ثانية بعد سنتين عن طريق أعمدة هرقل (جبل طارق) إلى المكان الذي أبحرت منه . ثم يشك فيما قرره البحارة من أنهم عندما التفوا حول ليبيا (أفريقيا) كانت الشمس عن يمينهم . وهو أمر كان يجب أن

يفطن إلى صحته لو تصور أنهم جاوزوا خط الاستواء .
وليس من شك في أن تاريخ هيرودوت يدعو أحيانا إلى النقد
الشديد ، فأكثر ما اعتمده كان ما سمعه من قوم ليس لهم علم راسخ بما
يفتون . ولكن لاجتراح على المؤرخ في ذلك فقد لجأ إلى هؤلاء عندما
أعوزته المصادر المكتوبة أو المنقوشة . ولكننا نعيب عليه بحق أنه لا يسيأ
أحيانا بتسجيل مرجعه حينما يكون اعتماده على مصدر مكتوب أو منقوش

ب - هيرودوت في مصر

قال هيرودوت في كتابه الثالث (١٣٥) : « لقد دخل الكثيرون من
اليونانيين مصر مع جيش قمبيز - لما غزا مصر سنة ٥٢٥ ق . م - جاء
بعضهم بقية التجارة ، وجاء البعض الآخر جندياً مرتزقاً ، وجاء آخرون
لمشاهدة البلاد » .

وأغلب الظن أن هيرودوت جاء مصر « لمشاهدة البلاد » .
وكانت زيارته في عهد الملك ارتاكرسيس الأول (٤٦٤ - ٤٢٤ ق . م)
وحيث أن هيرودوت كان في أثينا عام ٤٤٥ ق . م فإن رحلته إلى
مصر كانت قبل ذلك التاريخ حتماً . وحيث أن هيرودوت يقرر في كتابه
الثالث (١٢) أنه رأى هياكل القتلى من المصريين والفرس في بايريميس
وهذه الواقعة لم تنشب إلا في عام ٤٤٩ ق . م . وحيث أن اليونانيين قد
اشتركوا في الثورة المصرية تحت قيادة إناروس ضد الفرس ، وليس من

من المعقول أن يجيء هيرودوت إلى مصر وقت اشتعال هذه الثورة، وحيث أن هذه الثورة لم تخمد إلا في عام ٤٤٨ ق. م. فقد جاء هيرودوت مصر فيما بين سنة ٤٤٨ و سنة ٤٤٥ ق. م.

فإذا كان موقف المصريين من هؤلاء اليونانيين ؟

كان موقفهم أول الأمر عدائياً يتجاهلونهم ويزدرونهم ولا يتصلون بهم ثم جاءت الأسرة السادسة والعشرين فاضطرت إلى استخدام الجنود المرتزقة من اليونانيين : فكان موقف المصري منهم موقف المضطر إلى العون الذي لا بد منه لمواجهة صعاب الحرب ومضائنها . فكان المصري يخفي خجله من تفوق الجندي اليوناني عليه بالاستملاء والعزوف ، وياضطراره اليوناني إلى التسليم بفضل الحضارة المصرية وامتيازها، ثم تبدى الخطر الفارسي يهدد كلا الحضارتين المصرية واليونانية ، وكاد يودي بهما جميعاً . فجمع الخطر المشترك بين المصريين واليونانيين واضطرم إلى التفاهم والتعاون .

وإذن فقد كان المصري على الرغم من كرهه لليوناني وعزوفه عنه واعتباره نجساً ، يتلطف معه ويؤاخييه . وهكذا تأتى لهيرودوت أن يستمع لبعض الكهنة والتراجم .

ومكث هيرودوت في مصر حوالي ثلاثة أشهر ونصف ، . كانت من أغسطس إلى نوفمبر على الأرجح فقد كان في مصر في زمن الفيضان (٩٧) . نزل بمصر في كوم سمسدى شمال شرق الاسكندرية وذهب منها إلى كوم

جيف بالقرب من تفراش ومنها إلى ميت رهينة ، ومن هنا قام برحلة قصيرة إلى المطرية ، ثم ركب النيل إلى أسوان ونزل في الأشمونين والأقصر ، وفي طريقه راجعاً زار منخفض الفيوم وبحيرة قارون ، ثم رجع إلى ميت رهينة وقام بجولة في وسط الدلتا وشرقيها .

ولقد ذكر هيرودوت ثمانية عشر إقليماً من أقاليم مصر أو مديرياتها ، واحد منها فقط في الوجه القبلي . وذكر من المدن المصرية أربماً وأربعين مدينة ثمان منها فحسب في الوجه القبلي . ولم يصف مقابر الملوك ولا تمثال ممنون . فأغلب الظن إذن أن رحلته إلى الوجه القبلي كانت عابرة خاطفة ، أو لعل المؤرخ هيكاتيوس قد أقاض في وصف هذه الروائع المعمارية بما لم يدع لهيرودوت مجالاً للحديث عنها . ولكن هذا لا يكفي لتعليل صمته .

الظاهر أن الرحالة القديم كان يخاف أن يرحل ومعه مال كثير . فكان اليوناني يضطر إلى الاختلاف إلى المراكز التجارية اليونانية التي يستطيع أن يكون له فيها حساب جار ، يفترض منها ما يعيش عليه ، ويسدد دينه حينما يؤوب إلى مركز ترحاله . ومن المحقق أن هيرودوت لم يعرف اللغة المصرية ، وفي هذا ما يفسر تفضيله الإقامة في الدلتا حيث يكثر اليونانيون . ولم يكن لهيرودوت أن يعتمد على الفرس في تسهيل أمر الرحلة ومقابلة من يريد من الحكام أو الكهنة ، فقد كان الفرس ينظرون إلى اليونانيين يومئذ بعين الريبة والتوجس لأنهم عضدوا الثورة التي قام بها المصريون في وجه الفرس ، بل إنه من الجلي أن هيرودوت كان يتجنب الأوساط

الحكومية فهو لم يعلم أن اللغة الرسمية في الدواوين كانت حينذاك اللغة الأرامية. فإذا لم يكن هيرودوت عالماً باللغة المصرية ولا هو حاول أن يتعلمها فكيف استقى معلوماته من الكهنة؟ .

كان المترجمون عونونه على ذلك لا شك، ولقد أعجب بحسن تعبيرهم باللغة اليونانية، مما حدا به إلى الإطناب في الحديث عن نشأتهم (١٥٤). ولعل هؤلاء المترجمين كانوا مثل خلفائهم من التراجمة ولعين بالأغراب والمبالغة معتمدين على جهل الأجانب بلغة النقوش واستعدادهم للتصديق لفرط إعجابهم بالآثار. أم لعل القوم كانوا قليلي العلم، حسنى النية أدلوا بما وصل إليه عملهم. وإذن فهيرودوت قد حفظ لنا تاريخ مصر كما كان يتصوره أبنائها في القرن الخامس ق. م فأبان بذلك عن حالة البلاد الفكرية في تلك الفترة. ويقرر هيرودوت في مواضع متعددة أن سنده فيما يروى من أخبار هو كهنة منف. وأغلب الظن أنه لم يتصل بكبار الأخبار وقصائدهم، بل كان اتصاله بالكتاب والمسجلين في المعابد (٢٨). ولم يكن هؤلاء على علم عزيز. ولهم كانوا قادرين على قراءة النقوش المبروغليزية، ولكنهم لم يجسموا أنفسهم مشقة الجمع والترجمة. فأتخفوا المؤرخ بما فاقت به عقولهم من روايات وقصص مرتجلة لا تستند إلى أساس من التاريخ قويم.

وإن هذه القصص لتتقسم إلى أقسام ثلاثة: قسم منشؤه الآثار نفسها وما عليها من رسوم يحاولون تعليلها دون الاعتماد على النقوش، ومثلنا في (٢)

ذلك قصة الملك سيثون (١٤١) وقصة نجاة سيسوستريس (١٠٧) .
 وقسم منشؤة قصص أدبية عزيت حوادثها لملوك متقدمين، ومثلنا في ذلك
 قصة كنزرامپسينيتوس (١٢١) وغزوات سيسوستريس (١٠٢ وما بعدها)
 وقسم ثالث كان النقاد فيما مضى يضربون به عرض الأفق ، ويعتبرونه
 من سقط المتاع ولكن النقد الحديث يرى في هذه القصص غير هذا الرأى،
 ويعتبرها صدق دين قديم سابق لدين رغ وأوزيريس .

كان الكاهن في هذا الدين ملكا ييسط سلطانه على الدولة بما أوتى من
 قوة السحر فهو الذى يحيى الأرض ويمدها بالماء، ويدفع غائلة الفيضان. فإذا قال
 هيروdot (١١١) إن فيروس ألقى بسهمه في صدر التيار الدافق فهو يحكى
 صدق محاولة الملك الكاهن في صد الفيضان وكبح جماحه، وإذا تحدث بشكوى
 منقرع من القدر (١٣٣) فهي قصة الملك الكاهن الذى كان عليه أن يقضى
 على حياته في عنفوانها ليضمن انتقال القوة والبأس إلى خلقه، وإذا اغتصب
 أحد الملك كان عليه أن يقضى على الجالس على العرش حتى تنتقل اليه قوته
 السحرية ، وهذا ما يرويه هيروdot في حديثه عن سيسوستريس (١٠٧).
 ولقد زل هيروdot زلته الكبرى إذا اعتبر عصر بناء الأهرام تالياً
 لعصر الدولة الحديثة ، فهو يتحدث عن خوفو وخفرع ومنقرع بعد حديثه
 عن (رمسيس) . ولعل مصدر هذا انخلط هو تشابه آثار الأسرة السادسة
 والعشرين و آثار الأسرة الرابعة ، فقد كان عصر الأسرة السادسة والعشرين
 عصر إحياء ونهضة .

ولننتقل الآن إلى الناحية الجغرافية من كتاب هيروdot ، وهي أضعف جانب فيه . كان هيروdot يؤمن بأن الأرض تنقسم إلى قارات ثلاث ، أوروبا وآسيا وليبيا (افريقيا) . ولكنه جعل وادي النيل جزءاً من آسيا . وهو يصف امتداد مصر على ساحل البحر المتوسط فيقول (٦) إن طولها من خليج العرب إلى بحيرة بردويل حوالي ٦٦٧ كم ، مع أن المسافة من طرف بحيرة مريوط الغربي - المقابل لخليج العرب - وبين رأس الكأس الذي يعتبره هيروdot (١٥٨) حد مصر من الشرق هي ٤١٥ كم فحسب . ويتحدث هيروdot عن البحر الأحمر فيسميه ، أحياناً خليج العرب . وأحياناً البحر الأحمر ، ويظهر أنه لم يعلم بوجود خليج العقبة . ولم يدرك أن ما نسميه الآن بخليج السويس ليس إلا خليجاً من البحر الأحمر . فهو لم يتصور أن البحر الأحمر قد يكون في أي جزء من أجزائه أعرض من خليج السويس (١١) وليس عليه في ذلك من عيب فقد كان الرحالة القدماء يسرون بمحاذاة الساحل الإفريقي دائماً .

ويبالغ هيروdot أحياناً في تقدير المسافات فهو يقرر (٩) أن المسافة من المطرية إلى الأقصر بالنهر هي ٩٠٠ كم ، وهي في الحقيقة ٧٢٩ كم ، وأن المسافة من الأقصر إلى الفنتين هي ٣٣٣ كم وهي في الواقع ٢١٧ كم . وهو يقارب الحقيقة أحياناً . فهو يقرر (٧) أن المسافة من البحر إلى المطرية هي ٢٨٧ كم ، وهي في الحقيقة - على طول فرع رشيد - ٢٥٩ كم .

ويجب أن نقرر أن كل الأبعاد التي يذكرها هيروdot هي

أبعاد تقديرية ، ولذلك كانت كل أعداده كاملة ليس فيها كسور .

شاء هيرودوت أن يكون كتابه الثانى نصفين ، يقصر النصف الأول منه على مشاهداته الخاصة وآرائه الشخصية ، ويفرد النصف الثانى لما يلقى اليه من أخبار ، وشاء أن ينتهى النصف الأول عند آخر الفصل الثامن والتسعين . ولكنه لم يتقيد بذلك التقسيم كثيراً فى كتابه فقد اختلقت المشاهدة بالساع ، وجاء كتابه وحدة متماسكة منسجمة . وليس الكتاب الثانى مع كل ذلك وحدة قائمة برأسها . بل هو جزء من تاريخه الطويل ليس له مقدمة ولا هو ينتهى تماماً عند نهاية الجزء الثانى ، فى الكتاب الثالث فصول كانت جديرة بأن تلحق بالكتاب الثانى .

وبعد ، فلقد ظل هذا الكتاب الثانى العمدة الكبرى للمشتغلين بتاريخ مصر من القرن الخامس ق . م إلى أن وفق علماء الآثار إلى حل رموز اللغة المصرية ، ونهض علم الآثار وعلم الحفريات ففندا الكثير مما ذهب اليه هيرودوت ولكن الكتاب لا يزال محتفظاً بقيمته التاريخية ، فهو عمدة الأثرى فى دراسة تاريخ مصر من الأسرة السادسة والعشرين الى القرن الخامس ق . م . فإن آثار هذا العهد لم تر النور بعد على يد علماء الآثار . وهو صورة لمصر صادقة فى منتصف القرن الخامس ق . م . وهو فوق كل ذلك أثر أدبى فنى يبقى على وجه الزمان .

الكتاب الثاني

يو ترپی

رَبَّةُ الشَّعْرِ الْغَنَائِي

منهج الترجمة

لنص عندنا حرمة لم تبسح لنا التصرف في ترجمته . ولذلك
فقد جاءت الترجمة أقرب ما تكون إلى صورة النص الأصلية ،
تبرز خصائص اللغة اليونانية في التراكيب والتعبيرات ،
وتبين عن أسلوب هيرودوت في الحكاية والوصف ، ولقد
أبھينا على أسماء البلاد كما ذكرها ، وأثبتنا في كحَق خاص
ما يقابلها في العصر الحديث ، وكذلك الأمر في الموازين
والمكاييل والأطوال .

الكتاب الثاني

١ - بعد موت قورش ^(١) تولى الملك قمبيز ، وهو ابن قورش وكاسانداى ابنة فارناسيس ، وقد حزن عليها قورش نفسه لما ماتت قبله حزناً عظيماً ، وأمر كل أتباعه أن يحدوا عليها كذلك . أما قمبيز وهو ابن هذه المرأة وقورش ، فقد نظر إلى الأيونيين والأبوليين كأنهم رقيق موروث ، ولما قام بحملته على مصر ، أخذ معه - بالإضافة إلى آخرين من رعيته - اليونانيين الذين كانوا تحت سلطانه .

٢ - ولقد كان المصريون قبل أن يتولى پساتيك ^(٢) الملك فيهم ، يظنون أنفسهم أعرق الناس قدماً ، ولكن لما تولى پساتيك الملك أراد أن يعرف أى الشعوب أقدم . ومنذ ذلك الحين أخذ المصريون يعتقدون أن الفريجيين ^(٣) خلقوا قبلهم وأنهم هم أنفسهم خلقوا قبل سائر الشعوب الأخرى ولما لم يكن پساتيك قادراً على الوقوف على طريقة ما لاستقصاء

(١) هو منمىء الامبراطورية الفارسية ، توفي سنة ٥٢٩ ق . م وتولى الملك بعده ابنه قمبيز الذى غزا مصر سنة ٥٢٥ ق . م .

(٢) هو مؤسس الأسرة السادسة والمصريين فى سايس بعد طرد الأحباش بمساعدة الجنود المرتقة من الأيونيين والكارين سنة ٤٦٦ ق . م تقريباً

(٣) سكان المنطقة الوسطى من آسيا الصغرى

أى الشعوب أقدم ، قد اهتدى إلى التجربة الآتية : أعطى طفلين حديثي
الولاد من العامة إلى راع ليأخذها ويربهما بين ماشيته على النحو الآتى :
أمر الراعى ألا يُخرج أحدٌ أى صوت فى حضورها ، وأن يناما وحدهما فى
غرفة منعزلة . وأن يسوق إليهما فى الأوقات المناسبة معزى ، وبعد أن يرتويا
لبناً يقوم بسائر حاجتهما . ولقد اتهج پساتيك هذا النهج وأدلى بهذه
الأوامر لأنه أراد أن يسمع أى الأصوات يخرجها الطفلان أولاً بعد أن يقلعا
عن ثغائهما الذى لا يبين ، وهذا ما حدث فعلا . فبعد أن ظل الراعى على
هذا النهج مدة عامين ، حدث أنه عند ما فتح الباب ودخل ارتمى الطفلان
كلاهما على قدميه وصاحا « بَكُسْ »^(١) وقد مدّأ أيديهما لما سمع الراعى
ذلك ، لم يحرك ساكناً أول الأمر ، ولكن عند ما تكررت الكلمة كثيراً
كلا زارها أو عنى بهما ، أخبر سيده بالأمر وجاء بالطفلين — بحسب
أمره — إلى حضرته . و بعد أن سمعهما پساتيك بنفسه بدأ يبحث
أى شعب يسمى شيئاً بلفظة « بكس » . وبالبحث علم أن الفريجيين
يطلقونها على الخبز . وهكذا اعترف المصريون — على هدى هذه
التجربة — أن الفريجيين أقدم منهم . ولقد سمعت أن الأمر حدث كما
ذكرت من كهنة هيفايستوس فى منف . ولكن اليونانيين يقولون
قصصاً مافونة أخرى كثيرة منها ، أن پساتيك قطع السنة نساء وجعل
الطفلين يريان عند أولئك النسوة .

(١) الكلمة تعنى « الخبز »

٣ — هذا ما يقولونه بشأن تربية الطفالين . وقد سمعت قصصاً أخرى في منف عند ما ذهبت إليها لمحادثة كهنة هيفايستوس . وعلاوة على ذلك فقد يمت شطر طيبة^(١) وهليوبوليس لهذا الغرض نفسه ، فقد أردت أن أن استوثق عما إذا كانت روايات كهنتها تتفق مع روايات كهنة منف . ذلك أنه يقال إن كهنة هيلوبوليس أقمه المصريين في العلم . أما ما سمعت من قصص الآلهة فلست حريصاً على أن أثبت منها إلا أسماء الآلهة فحسب ، فإني أعتقد أن الناس أجمعين يعلمون عن الآلهة قدرأ متساوياً ، أما ما عساي أن أذكره عنها فإني مضطر إلى ذكره بسياق التاريخ .

٤ — أما عن المسائل الإنسانية فالكهنة يتفقون فيما بينهم في قولهم أن المصريين كانوا أول من عرف السنة الشمسية وأنهم جعلوها مؤلفة من اثني عشر قسماً من الفصول ، ويقولون إنهم اكتشفوا هذه الأشياء بملاحظة النجوم . وهم في تقويمهم هذا أدق من اليونانيين فيما أرى ، إذ أن اليونانيين يضيفون إلى كل سنتين شهراً نسيئاً حتى تستقيم الفصول . أما المصريون فيحسبون اثني عشر شهراً مؤلفاً من ثلاثين يوماً ويضيفون إلى هذا العدد خمسة أيام كل سنة ، وهكذا تم دورة الفصول عند نقطة ابتداء التقويم . ويقول الكهنة أيضاً إن المصريين كانوا أول من سمى الآلهة الإثني

(١) هي مدينة الأنصر عاصمة مصر في عهد الدولة الحديثة . ظن اليونانيون أن اسمها « ملات » يقابل اسم طيبة عاصمة يوشيا عندهم . فاطلقوه عليها . وكان اسمها الأكثر شيوعاً في مصر هو « نو » أي المدينة . وقد ورد هذا في العهد القديم إرميا ٤٦ : ٢٥

عشر بألقابها ، وأن اليونانيين أخذوا ذلك عنهم ، وأن المصريين أول من وقف للآلهة الهياكل والتماثيل والمعابد ، وأول من حفر صور الآلهة على الأحجار . وقد ينووا لى أن أكثر هذه الدعاوى كان فى الواقع كما ذكروا . وقالوا كذلك إن مينا كان أول ملك لمصر من البشر ، وإن مصر فى عهده كانت كلها — فيما عدا مقاطعة طيبة — مستنقماً ، فى حين لم تكن واحدة من البقاع التى تقع الآن شمالى بحيرة مويريس^(١) (وهى من البحر على مسافة سبعة أيام تصعيداً فى النهر) بارزة فوق الماء .

٥ - ويبدو لى أنهم مصيبون فيما يقررون من طبيعة البلاد ، لأنه من الواضح لمن لم يستمع إلى أقوالهم بل رأى البلاد رأى العين فحسب ، وكان ذا فطنة ، أن مصر التى يبحر إليها اليونانيون بسفنهم ، أرض اكتسبها المصريون وأنها هدية من النهر^(٢) . هذا إلى أن الإقليم الواقع على مسافة رحلة ثلاثة أيام مما يلى البحيرة ينطبق عليه أيضاً هذا الوصف ، ولو أن هؤلاء الكهنة لم يقولوا عنه شيئاً كهذا . وذلك أن طبيعة أرض مصر كما يأتى : إذا كنت مبحراً إليها أول مرة ولا زلت على بعد رحلة يوم من اليابسة ، وأدليت المسبار فستخرج طمياً وستكون على بعد أحد عشر باعاً ، وهذا يوضح أن الطبقة الطميية تمتد إلى هذا الحد .

٦ - وامتداد مصر على ساحل البحر ستون سخينوسا بحسب تحديدنا

(١) هى بحيرة فارون الآن .

(٢) هذا التعبير اقتبسه هيرودوت من هيكتايوس .

لمصر من خليج بلينثوس إلى بحيرة سربونيس^(١) التي تمتد تل كاسيوس^(٢) بجانبها ، والستون سخينوساً تبدأ من هذه البحيرة . والذين يملكون أراضي صغيرة يمسحونها بالباع ، وأصحاب الأراضي الأكبر منها يمسحونها بالستاد ، وأصحاب الأراضي الواسعة يمسحونها بالفرسخ ، وأصحاب الأراضي الواسعة جداً يمسحونها بالسخينوس ، والفرسخ يعادل ثلاثين ستاداً ، والسخينوس - وهو مقياس مصرى - يعادل ستين ستاداً ، وإذن يكون امتداد مصر على ساحل البحر ٣٦٠٠ ستاد .

٧ - ومصر في الداخل من الشاطئ إلى مدينة هيلوبوليس واسعة ، وكلها منبسطة وغاصة بالماء وموحلة . والمسافة من البحر إلى مدينة هيلوبوليس تكاد تساوى في الطول الطريق المؤدية من هيكل الآلهة الاثني عشر في آثينا إلى معبد زيوس الأولمبي في ييزا . فإذا حسب المرء المسافة لوجد الفرق بين هذين الطريقين ضئيلاً جداً ، حتى إنهما ليكادان يتساويان ، إذ الفرق لا يزيد عن خمسة عشر ستاداً ، فالمسافة من آثينا إلى ييزا تقل بمقدار خمسة عشر ستاداً عن ١٥٠٠ ستاد في حين أن المسافة من البحر إلى مدينة هيلوبوليس تبلغ ذلك الرقم .

٨ - ومصر ضيقة أبتداء من مدينة هيلوبوليس حتى الجنوب ، وفي

(١) هي بحيرة بردويل الآن . سميت كذلك باسم بلدون ملك أورشليم المتوفى

سنة ١١١٨ م .

(٢) يبعد أربعمائة ميل عن مدينة ييلوزيوم وهو الآن رأس الكأس أو القسروم .

ناحية بلاد العرب تقوم سلسلة جبال من الشمال إلى الجنوب والجنوب الغربي وتمتد مرتفعة في اطراد إلى البحر المسمى بالبحر الأحمر . وفي هذه السلسلة توجد مقالع الأحجار التي هيئت من أجل الأهرام التي توجد بالقرب من منف ، وهنا تبلغ الجبال نهاية امتدادها وتنحني صوب الجهات التي ذكرتها . والمسافة من الشرق إلى الغرب عبر هذه الجبال حينما تبلغ أقصى اتساعها مسيرة شهرين كما علمت ، وحدودها الشرقية مصدر للبحور . هذه إذن طبيعة هذه الجبال . هذا وتوجد سلسلة أخرى من الجبال الصخرية على الجانب الليبي من مصر ، وتقع فيها الأهرام ، وهذه السلسلة مغطاة بالرمال ، وهي تمتد في نفس اتجاه ذلك الجزء من سلسلة الجبال العربية الذي يمتد إلى الجنوب .

وإذن فالبلاد بعد هليوبوليس لم تعد شديدة الاتساع بالنسبة إلى أنها جزء من مصر . بل إن الأراضي المصرية البحتة تكون إلى مرحلة أربعة عشر يوماً في الداخل ضيقة ، والأرض الواقعة بين سلسلتى الجبال التي ذكرتها سهل ، لا يزيد اتساعه بحال في أضيق جزء منه فيما يدولى ، عن مائتى ستاد ، فيما بين سلسلة الجبال العربية وسلسلة الجبال الليبية كما يسمونها ، وبعد ذلك تكون مصر متسعة من جديد .

٩ — هذه إذن هي طبيعة البلاد ومن هيليوپوليس إلى طيبة إبحار تسعة أيام تصعيداً في النهر ، وهي مسافة ٤٨٦٠ ستاداً ، لأنها مسافة ٨٠ سخينوساً . هذه إذن أبعاد مصر موضوعة بعضها بجانب بعض .

ولقد أوضحت فيما سلف أن طول ساحل البحر ٣٦٠٠ ستاد وسأبين الآن البعد من البحر إلى مدينة طيبة في الداخل ، فهو مقدار ٦١٢٠ ستاداً أما المسافة من طيبة إلى المدينة للسماة مدينة الفيل فهي ١٨٠٠ ستاد .

١٠ - والجزء الأكبر من هذه البلاد التي تحدثت عنها هو - كما قال الكهنة ، وكما أعتقد شخصياً - كسب للمصريين ، فقد بدى أنه من الجلبى أن السهل الواقع بين سلاسل الجبال التي تحدثت عنها مما يلي مدينة منف كان فيما مضى خليجاً في البحر ، شأنه في ذلك شأن البقاع الواقعة حول طروادة وتيوثرانيا وإفسوس وسهل مياندروس . هذا إذا جاز أن تقارن صغير الأمور بكبيرها ، إذ لا يمكن أن يقارن واحد من هذه الأنهار التي كونت هذه البلاد بطبيعتها بفرع واحد من فروع النيل من حيث الحجم وفروع النيل خمسة . وهناك أنهار أخرى أيضاً لا تقارن بالنيل في الحجم وقد كان لها تأثير عظيم ، ويمكننى أن أسمى منها أنهاراً كثيرة ولكن أهمها هو نهر أخيلوؤس^(١) الذي يجري في أكارنانيا ويصب في البحر ، وقد أجال نصف جزائر أخيناديس فعلاً برأ .

١١ - وفي بلاد العرب ، غير بعيد من مصر ، يوجد خليج يتوغل في الداخل من البحر الذي يسمى بالبحر الأحمر^(٢) وهو طويل وضيق جداً كما سأبين

(١) أكبر أنهار بلاد اليونان ، ويفصل أكارنانيا عن أيطوليا .

(٢) البحر الأحمر عند اليونانيين الأقدمين يعنى البحر الأحمر الحالى والمحيط الهندى والخليج الفارسى ، والتسمية في الأصل مصرية ، نسبة إلى لون الرمال في الغالب

بالوصف . فمن يبدأ برأس الخليج ويمضى قدماً في عرض البحر يستغرق أربعين يوماً في عبوره طولا مستخدماً المجاذيف ، في حين أن اجتيازه عرضاً يستغرق إبحار نصف يوم في أوسع جزء من الخليج . ويحدث فيه مدّ وجزر كل يوم ، ويحتل إلى أن مصر نفسها كانت فيما مضى خليجاً آخر مثل هذا ، وأن أحدهما كان يمتد من البحر الشمالى صوب الحبشة^(١) ، في حين أن الآخر يمتد من البحر الجنوبى صوب سورية . وإن رأسيهما لكانان يتقابلان الواحد بالآخر ، لا يفصلهما إلا رقعة ضيقة من الأرض . فإذا عن للنهر أن يوجه مجراه نحو الخليج العربى فإذا يمنع هذا من أن يبس بتأثير النهر في عشرين ألف عام ؟ إني شخصياً أعتقد أنه لو حدث ذلك ليس الخليج في عشرة آلاف عام . فكيف إذن لا يبس خليج أكبر من هذا بكثير بتأثير نهر على هذه الضخامة وعلى هذا الدأب في كل الزمان الذى انقضى قبل أن أولد ؟

١٢ - وإني لا أصدق ما قيل عن مصر فحسب بل ، إني شخصياً شديد الاعتقاد بأن ذلك ما حدث فعلاً . فقد لاحظت أن مصر تمتد داخل البحر أكثر من الأراضى المتاخمة لها ، وأن أصداف البحر توجد على الجبال ، وأن طبقة ملحية تتكون على سطح الأرض حتى أن الأهرام نفسها تتآكل بفعلها ، وأن سلسلة الجبال الوحيدة في مصر التى تغطيها الرمال هى تلك

(١) الحبشة عند اليونانيين الأقدمين تعنى كل ما يلى مصر جنوباً ابتداء من الشلالات . وتشمل الصومال وإريتريا .

التي تقع فوق منف . ولاحظت علاوة على ذلك أن مصر لا تشبه بلاد العرب التي تتصل بها ، ولا ليبيا ولا سورية أيضاً ، (السوربون يسكنون الجزء الذي يلي البحر من بلاد العرب) بل إن تربتها سوداء مشققة ، لأنها في الحقيقة طمي متراكم ، محمول من بلاد الحبشة بوساطة النهر ، ونحن نعلم أن تربة ليبيا ضاربة إلى الحمرة ورملية بعض الشيء فيما يلي السطح في حين أن أرض بلاد العرب وسورية صلبة بعض الشيء وصخرية .

١٣— ولقد حدثني الكهنة بالبرهان القوي التالي على أن ذلك هو تكوين تلك البلاد ، قائلين إن النهر في عصر الملك مويريس كان يروى من مصر الجزء الذي يلي منف كلما بلغ ارتفاعه ثمانية أذرع فحسب ، ولم تكن قد مضت على موت مويريس هذا تسعمائة عام عندما سمعت أنا هذه المعلومات من الكهنة . أما في الوقت الحاضر فإذا لم يرتفع النهر أربعة عشر أو خمسة عشر ذراعاً على الأقل لا يغمر البلاد . ويخيل إلي أنه إذا استمرت الأرض في الزيادة في الارتفاع بهذه النسبة واستمرت كذلك في الزيادة في الاتساع ، فسوف يعاني المصريون الذين يعيشون فيما يلي بحيرة مويريس وخصوصاً في المنطقة التي تسمى بالدلتا ، إلى آخر الزمان نفس المصير الذي كانوا هم أنفسهم يقولون إن اليونانيين سيلاقونه يوماً من الأيام . ذلك أنهم عندما علموا أن كل بلاد اليونان تروىها الأمطار فحسب ، ولا تروىها الأنهار كما هو الحال عندهم ، قالوا إنه سوف يخيب أمل اليونانيين العظيم يوماً ما ويجوعون جوعاً شديداً . وهذا يعني أنه إذا لم يشأ الإله أن ينزل عليهم

الفيث ، بل شاء أن يهرأهم بالجفاف المتصل ، فسوف يهلكون جوعاً ، فليس لهم من مصدر واحد آخر للماء إلا زيوس فحسب .

١٤ - إن ما يقوله المصريون بشأن اليونانيين صحيح ، ولكن دعنى أحدث عن موقف المصريين أنفسهم إذا حدث ، كما قلت آنفاً ، أن الأرض فيما بلى منف (وهى الأرض التى تزيد فى الارتفاع) زادت فى الارتفاع بنفس النسبة التى درجت عليها فى الماضى . فإذا عساه يحدث للمصريين الذين يسكنون هذه البقاع - إذا الأرض لا ترويه الأمطار ، والتهز غير قادر على أن يفيض على الحقول - إلا أن يموتوا جوعاً ؟ هذا مع أنهم الآن يجنون محصولهم من الأرض بغاية اليسر بمجهود أقل مما تبذله الشعوب الأخرى بما فيهم سائر المصريين . فهم لا يجهدون فى شق الخطوط بالمحراث ولا فى قثيت التربة ولا يقومون بأى عمل من الأعمال التى يشقى بها سائر الناس من أجل الغلة . بل إن النهر يفيض عندهم من تلقاء نفسه ، ويروى الحقول ثم ينحسر ثانية بعد ريهما ، وعندئذ يبذر كل فرد حقله ، ويطلق فيه الخنازير ، لتدوس البذور فتغرسها ثم ينتظر الغلة ويخزنها بعد أن تدرس الجيوب بواسطة الخنازير .

١٥ - والآن ، فإذا أخذنا بآراء الأيونيين فيما يتعلق بمصر ، وهم يذهبون إلى أن مصر هى الدلتا فحسب ، وأن شاطئها يمتد من الرقب الذى يسمى باسم برسبوس إلى ملاحات الأسماك على القرع البيلاوى وهى مسافة أربعين سجينوسا ، وأنها تمتد من البحر فى الداخل حتى مدينة

كر كاسوروس^(١) التي يتفرع النيل عندها إلى الفرعين البيلوزى والكانوبى وأن بقية مصر بعضها ليبيا والبعض الآخر بلاد العرب . إذا أخذنا بهذا القول كان معناه أنه لم يكن للمصريين وطن من قبل . ذلك أن الدلتا كما سبق القول ، طمئية وحديثة التكوين فضلاً فيما يقول المصريون أنفسهم وفيما اعتقد شخصياً . فإذا لم يكن لهم وطن من قبل على الإطلاق ، فلماذا يجتهدون في تبيان أنهم أقدم الشعوب ؟ ولم تكن بهم حاجة إلى إجراء تجربة الطفلين لمعرفة أى اللغات يتكلمان أولاً . ومهما يكن من شيء فإني لا أعتقد أن المصريين نشأوا في نفس الوقت الذى تكونت فيه الدلتا التي يسميها الأيونيون مصر ، بل إنهم كانوا موجودين دائماً منذ الوقت الذى وجد فيه الجنس الإنسانى ، وأنه لما امتدت بلادهم تخلف الكثيرون منهم وانحدر الكثيرون تدريجياً إلى الأراضى الجديدة . وعلى كل حال ففى العصر القديم كانت طيبة تسمى مصر ، ومحيط طيبة ٦١٢٠ ستاداً .

١٦ — فإذا كانت آراؤنا فيما يتعلق بهذه المسائل صحيحة فالأيونيون غير مصيدين فيما يذهبون إليه بشأن مصر ، أما إذا كان رأى الأيونيين هو الصحيح فإني مبين أن اليونانيين والأيونيين أنفسهم لا يعرفون كيف يحسبون إذ يقولون إن الأرض كلها مقسمة إلى أقسام ثلاثة أوروبا وآسيا وليبيا ، فعليهم حقاً أن يضيفوا إلى حسابهم دلتا مصر كقسم رابع إذا لم

(١) تسمى الآن صيدية ، ورأس الدلتا يقع الآن إلى الجنوب من هنا الموضع بمقدار ستة أميال . والكلمة مصرية تعنى « تمزيق أو تزييس »

تكن جزءاً من آسيا ولا جزءاً من ليبيا . والنيل ، بحسب قولهم هذا ، ليس هو الذى يفصل آسيا عن ليبيا ، والنيل يتفرع عند رأس هذه الدلتا ، فتكون إذن فى وسطه مشاعاً بين آسيا وليبيا

١٨ - والآن وقد طرحنا رأى الأيونيين جانباً فلندلى نحن بما نرى من أن مصر هى كل البلاد التى يسكنها المصريون ، كما أن كيليكية^(١) هى البلاد التى يسكنها الكيليكيون ، وآشور هى البلاد التى يسكنها الآشوريون أما عن الحد الفاصل بين آسيا وليبيا فلا نعرف حداً بالمعنى الحرفى إلا مصر . فإذا أخذنا بالرأى السائد عند اليونانيين فسوف نذهب إلى أن مصر كلها مبتدئة من الشلال ومدينة الفتنة مقسمة إلى قسمين ، ولها الحق فى الأسمين كليهما . فجانب منها جزء من ليبيا والجانب الآخر جزء من آسيا . لأنه من الواضح أن النيل مبتدئاً من الشلال يشطر مصر فى مجراه إلى البحر . والنيل ينساب فى مجرى واحد حتى مدينة كركاسوروس ومن هذه المدينة يتفرع إلى مجارى ثلاثة . أحدها ويسمى الفرع البيلوزى ينحرف صوب الشرق ، وأحد هذه المجارى ينحرف صوب الغرب ويسمى هذا الفرع الكانوبى ، أما الفرع المستقيم من مجارى النيل فينساب على النحو الآتى : عندما يصل النهر فى جريانه ، قدماً إلى رأس الدلتا يشطرها فى أوسط ويصب فى البحر . وكية الماء الذى يأتى به هذا الفرع أكبرها قدراً وأبعدها شهرة . ويسمى هذا الفرع بالفرع السبنتى وهناك فرعان آخران

(١) فى الجنوب المرقى من آسيا الصغرى

ينشقان على الفرع السبنيثي ويجريان إلى البحر واسم أحدهما الفرع الساسي
والآخر الفرع المنديسي ، أما الفرع البولبيثي والفرع البوكولي فليسا طبيعيين
بل صناعيين .

١٨ — وتشهد لي بصحة الرأي فيما ذهبت إليه في كلامي من أن مصر
على هذا الامتداد ، إجابة وحى آمون التي لم أعلم أنها بها إلا بعد أن كنت
قد كوَّنت رأبي عن مصر : كان أهل مدينتي ماريا وآيس الذين يسكنون
الأجزاء المتاخمة لليبيا من مصر يرون أنهم ليبون وليسوا مصريين ،
وأحفتهم الطقوس الدينية التي تحرم عليهم أكل لحوم الأبقار ، فأرسلوا
إلى آمون زاعمين أن ليس هناك شيء يجمع بينهم وبين المصريين حيث
أنهم يسكنون خارج الدلتا ولا يتفقون معهم في شيء وأرادوا أن يحلل لهم
أكل كل طعام ، ولكن الإله منعمهم من ذلك قائلاً « إن مصر هي الأرض
التي يجري فيها النيل ورويها ، وأن المصريين هم الذين يسكنون البلاد مما
يلي مدينة الفتين ، ويشربون من ماء النيل » . هكذا أجابهم الوحي .

١٩ — وعند ما يفيض النيل لا يغمر الدلتا وحدها ، بل يغمر كذلك
ما يسمى بالبلاد الليبية وبلاد العرب إلى مدى مسيرة يومين من كلا الجانبين
ويزيد أحياناً عن ذلك ، وأحياناً يقل . ولم أستطع أن أستقي معلومات
عن طبيعة النهر من الكهنة ولا من أحد غيرهم ، ولقد كنت شديد الحرص
على أن أعرف منهم لماذا يأتي النهر في فيضان مدة مائة يوم مبتدئاً من
الاقطاب الصيفي حتى إذا بلغ هذا القدر من الأيام يفيض ماؤه ، وينحسر

ثانية ، ويظل غائضاً طوال الشتاء إلى أن يمحين الانقلاب الصيفي ثانية . لم أستطع أن أستقي من المصريين معلومات بشأن مسألة واحدة من هذه المسائل حينما سألتهم عن خاصية النيل التي خالفت بها طبيعته سائر الأنهار . لقد أردت أن أعرف ما يقولون بشأن هذه المسائل ، ولماذا كان النيل النهر الوحيد دون سائر الأنهار الذي لا يثير رياحاً على سطحه .

٢٠ — ولكن بعض اليونانيين وقد أرادوا أن يشتهروا بالحكمة ، ذهبوا في تفسير ظاهرة مائه ، بثلاثة مذاهب مختلفة ، اثنان منها ليسا جديرين بأن أسجلهما لو لم أكن حريصاً على أن أبين ماهيتهما فحسب . فأحدهما يقول إن الرياح الموسمية هي سبب فيضان النيل ، لأنها تمنع النهر من أن يصب في البحر . ولكن كثيراً ما تكون الرياح الموسمية ساكنة ويظل النيل يعمل عمله ، هذا إلى أنه إذا كانت الرياح الموسمية هي السبب لوجب أن تتعرض سائر الأنهار التي تجري في اتجاه مضاد للرياح الموسمية لنفس الظاهرة التي يتعرض لها النيل ، بل تكون أكثر منه تأثراً بها بالنسبة إلى أنها أصغر منه فتيارها أضعف . ولكن هناك أنهار كثيرة في سورية وأنهار كثيرة في ليبيا لا تتعرض لمثل تلك الظاهرة التي يتعرض لها النيل .

٢١ — والمذهب الثاني أشد من الذي ذكرناه إغراقاً في الجهل ولكنه أشد منه إثارة للعجب . فهو يقول إن النهر يفيض من المحيط ويأتي بتلك الظواهر ، أما المحيط فيفيض حول الأرض كلها .

٢٢ — أما المذهب الثالث فأقربها جميعاً بكثير إلى التصديق ومع ذلك فهو على التحقيق أكذبها إذ لا طائل البتة تحت ما يذهب إليه من أن النيل يفيض من الثلوج الذائبة في حين أنه ينساب من ليبيا مخترقاً وسط الحبشة ويفيض في مصر . فكيف يفيض من الثلوج إذا كان يجري من بلاد شديدة الحرارة إلى بلاد أبرد منها نوعاً بوجه عام ؟ وأول دليل وأقواه — لمن يستطيع أن يعمل الفكر في هذه المسائل — على أنه من غير المعقول أن يفيض النهر من الثلوج ، أن الرياح التي تهب من هذه البلاد تأتي حارة ، والدليل الثاني أن البلاد غير ممطرة ولا برد فيها طول العام ، مع أنه بعد سقوط الثلج تهطل الأمطار بالضرورة في ظرف خمسة أيام . وعلى ذلك فإذا كانت هناك ثلوج كانت هناك أمطار في تلك الأصقاع . أما الدليل الثالث فهو سكان البلاد إذ أنهم سود بتأثير حرارة الشمس المحرقة . هذا إلى أن الحدايات والسنونة لا تختفي منها طوال السنة في حين أن الكراكي تهرب من الجو البارد الذي تتعرض له في إقليم سكيثيه وترحل دائماً إلى هذه الجهات لتمضية الشتاء .

وإذن فإذا كانت الثلوج تسقط ولو بقدر ضئيل جداً في تلك البلاد التي ينساب منها النيل ويبدأ منها في فيضانه ، ما حدث شيء من هذا كما تقضى الضرورة المنطقية .

٢٣ — أما من يعلل الفيضان بنظرية المحيط فيأتي بأساطير مبهمه لانتطوى على برهان . وأنا شخصياً لست متيقناً أن نهر الأوقيانوس موجود

فلا . ويحيل إلى أن هومروس أو أحد الشعراء الذين سبقوه اخترع هذا الاسم وأدخله في الشعر .

٢٤ — والأُن فإذا كان من الواجب على بعد أن دحضت الآراء التي قدمتها أن آين رأبي في هذه الأمور المبهمة فإني سأبين لماذا يفيض النيل في الصيف في رأبي ففي فصل الشتاء تندفع الشمس بفعل الأعاصير من مدارها المعتاد وتذهب إلى أجواز ليبيا العليا . وهذا هو تعليلى بأ كمله مينا في اختصار شديد . إذ من الطبيعي أن تكون البلاد التي يكون هذا الاله قريبا جداً اليها ومحلقاً فوقها ناضبة الماء ، وأن تكون جداول أرضها على الأخص غائضة دون سائر الأنهار .

٢٥ — أما تعليلى مينا بالتفصيل فهكذا : إن الشمس في مسيرها فوق الجهات العليا من ليبيا يكون تأثيرها على النحو الآتى : حيث أن الهواء يكون طوال السنة في تلك المناطق صافياً ، والأرض ساخنة ، وليس هناك من رياح باردة ، فالشمس تؤثر كما اعتدت أن تؤثر وقت الصيف حينما تسير في وسط السماء ، أى أنها تجذب المياه اليها وتدفع بها ، بعد أن تجذبها ، إلى المناطق العليا من البلاد . وهناك تستحوذ عليها الرياح وتفرقها وتبددها ، ولذلك فالرياح التي تهب من هذه البلاد أى الجنوبية والجنوبية الغربية هي أغزر الرياح أمطاراً بكثير . ولكن يبدو لى أن الشمس لا تتخلص من كل ماء النيل الذى تجذبه كل سنة بل تبقى بعضه بجوارها . وحينما يعتدل الشتاء ، ترجع الشمس إلى وسط السماء ثانية ، ومنذ ذلك الوقت تجتذب المياه من كل

الأنهار على السواء ، وفي هذه الأثناء تفيض هذه الأنهار بمياه غزيرة لكثرة مقادير الأمطار التي تختلط بها وذلك لهطول الأمطار في البلاد وامتلائها بالأخوار ، أما في الصيف فتقل مياهها لأنها تفقد مورد الأمطار ولأن الشمس تمتص مياهها . وحيث أن النيل لا تنضه الأمطار ، والشمس في نفس الوقت تمتص مياهه ، فقد ترتب على ذلك أن كان النيل النهر الوحيد الذي ينساب في هذا الفصل وقد قل ماؤه كثيراً عن مقداره الطبيعي أى أقل من مقداره في الصيف ، ففي الصيف تجذب الشمس ماءه بالنسبة التي تجذب بها مياه سائر الأنهار . في حين أنه يتعرض لها وحده في الشتاء ، ولذلك فإنني أعتقد أن الشمس هي سبب هذه الظاهرات .

٢٦ — والشمس ، وهي تلفح الهواء في خط سيرها ، هي أيضاً ، في رأيي ، السبب في أن الجوف في هذه المناطق عديم الرطوبة حتى أن الصيف حال باستمرار في المناطق العليا من ليبيا . ولكن إذا تغيرت مواقع الشمس في الفصول وإذا أصبح جوز السماء - الذي تقع فيه الآن الرياح الشمالية والشتاء - موقع الرياح الجنوبية والصيف في حين تصبح الرياح الشمالية واقعة حيث تقع الآن الرياح الجنوبية ، في هذه الحالة ، كانت الشمس - وقد أزاحها الشتاء والرياح الشمالية عن وسط السماء - تزور المناطق العليا من أوروبا كما تزور الآن المناطق العليا من ليبيا ، وأعتقد أنها في مسيرها عبر أوروبا كلها كانت تؤثر في نهر الطونة نفس التأثير الذي تحدثه في نهر النيل

٢٧ — أما عن مسألة الرياح التي لا تهب على سطح النهر فرأيي أنه

من غير الطبيعي أن يهب ربح مامن جهات شديدة الحرارة . فالرياح عادة تهب من جهة باردة .

٢٨ — والآن فلتتبع هذه المسائل إذن كما هي وكما كانت منذ البدء . ولم يدع احد عن المصريين أو الليبيين أو اليونانيين الذين تحدثوا معي ، أنه يعرف شيئاً من منابع النيل إلا مسجل الخزان المقدسة لآثينة في مدينة سايس^(١) في مصر . وقد بدا لي أن الرجل يهزل حينما قال إنه يعرف الحقيقة على وجه الدقة . وقد تحدث بما يلي : في الوسط بين مدينتي سين (أسوان) في مقاطعة طيبة والفتين يوجد تلان يرتفع رأسها في قلتين مدينتين واسم أحد هذين التلين « كروفي » والآخر « موفي »^(٢) . ومن بين هذين التلين تتفجر منابع النيل وهي ليست بذات قرار . وينحدر نصف الماء نحو مصر شمالا ، والنصف الآخر نحو الحبشة جنوباً . وقال إن بساتييك ملك مصر أثبت بالتجربة أن المنابع لا يسير لها غور ، فقد جاء بجبل مجدول طوله ألف باع وأدلى به في هذا المكان فلم يبلغ القاع . وهكذا بين هذا المسجل ، فيما أظن ، إذا كان ما قرره قد حدث فعلاً ، أنه توجد هناك دوامات قوية وتيارات مضادة بدرجة أن المسبار ، وقد كانت المياه تدفعه إلى جوانب الجبل ، لم يستطع حينما أدلى أن يبلغ القاع .

(١) كانت سايس عاصمة الأسرة السادسة والمصرين . ومركز عبادة الإلهة نيث .
 (٢) الكلمتان مصريتان « كروفي » قد يكون معناها كهف النيل « وموفي » ماء النيل . والرأي الذي أدلى به المسجل قديم وقد ظل سائداً إلى أواخر العصر الروماني .

٢٩ - ولم أستطع أن أقف على شيء من أحد غيره . ولكنى اكتسبت المعلومات الآتية بعد أن وصلت بإبحائي إلى أبعد مدى ، فزرت البلاد حتى مدينة الفنتين مشاهداً ، واكتسبت معلوماتى عما وراء هذه المدينة بالسماح . فمن الفنتين تكون البلاد مرتفعة للواغل فيها صُعداً حتى إنه ليتحتم ربط القارب من طرفها كالثور قبل التقدم بها فإذا انقطع الجبل ذهبت القارب محموله بقوة التيار . وفي هذه المنطقة ، وهى مرحلة أربعة أيام فى القارب ، يكون النيل متعرجاً مثل نهر النياندرس . والمساحة التى عليك أن تقطعها على هذا النحو هى اثنا عشر سخينوس . وبعدها تصل الى سهل منبسط يدور النيل فيه حول جزيرة ، واسم هذه الجزيرة تالخومبسو .^(١) ويقطن الأحباش المنطقة التى تلى مدينة الفنتين مباشرة ، وهم يسكنون نصف الجزيرة ويسكن المصريون نصفها الثانى . وتتاخم هذه الجزيرة بحيرة عظيمة يعيش حولها أحباش رحل ، فإذا جزتها وصلت إلى مجرى النيل الذى يصب فى هذه البحيرة . وبعد ذلك تهبط البر وتقطع مرحلة أربعين يوماً بجذاء النهر . ذلك أنه توجد فى النيل صخور حادة وجنادل كثيرة لا تيسر بسببها الملاحة فى النهر . فإذا اجتزت هذه المنطقة فى هذه الأيام الأربعين ، تركب سفينة أخرى من جديد ، وتبحر اثنى عشر يوماً تصل بعدها إلى مدينة عظيمة اسمها مروى ، ويقال إن هذه المدينة هى عاصمة سائر الأحباش وسكان هذه المدينة يعبدون زيوس وديونيسوس

(١) لعلها جزيرة زرار جنوب أسوان وتسمى فى اللغة المصرية « نخة » .

قط ، وهم يعظموניהما تعظيماً شديداً ، ويوجد عندهم وحى لزيوس . وهم يسرون للحرب كلما أمرهم هذا الإله بوساطة الوحي وإلى حيث يأمرهم يتوجهون .

٣٠ - فإذا أبحرت من هذه المدينة مدة أخرى مساوية للمدة التي قضيتها في مجيئك من الفنتين إلى عاصمة الأعباش ، فستصل إلى الفارين ، واسم هؤلاء الفارين « أسماخ » وهذه الكلمة تعنى فى اللغة اليونانية « الذين يقفون ناحية يد الملك اليسرى » . ويبلغ هؤلاء مائتى وأربعين ألف مصرى من طبقة الجند وقد فروا إلى الأعباش للسبب الآتى : فى عهد الملك پسماتيك وضعت الحاميات واحدة فى مدينة الفنتين تجاه الأعباش وأخرى فى دافناى^(١) بالقرب من پيلوزيوم - تجاه العرب والسوريين ، وأخرى فى ماريا تجاه ليبيا . والحاميات الفارسية موجودة إلى أيامنا هذه فى هذه الأماكن كما كانت فى عهد پسماتيك ، فالفرس يقومون بالحراسة فى الفنتين وفى دافناى . ظل هؤلاء المصريون إذن يقومون بالحراسة ثلاث سنوات فى الفنتين ولم يأت أحدٌ ليعفيهم من هذه الحراسة . وبعد أن تشاور هؤلاء واستقروا على رأى واحد ، ثاروا على پسماتيك وذهبوا إلى الحبشة . ولما علم پسماتيك بالأمر اقتفى أثرهم ، ولما لحق بهم حاول طويلاً أن يقنعهم

(١) أحد الحصون المصرية فى وجه الفرس . وقد كشفت على بعد عشرة أميال غرب القنطرة . وظهر أن طول المسكر فيها كان ٦٣٥ ياردة وعرضه ٤٠٠ ياردة .
وهى تسمى فى العهد القديم تحفنجيس .

بالأيهجروا آلهة آبائهم ، وأولادهم ونساءهم . ويقال إن أحدهم أشار إلى عورته وقال ما دامت هذه موجودة فسيكون لهم هناك أولادٌ ونساء . ولما وصلوا إلى الحبشة وضعوا أنفسهم رهن مشيئة ملك الأحباش وهذا كافأهم على النحو الآتي : كان بعض الأحباش مختلفين معه ، فأمر المصريين أن يطردوهم ويسكنوا أرضهم . ولما نزل هؤلاء بين الأحباش صار الأحباش أكثر تمديناً بعد أن أخذوا العادات المصرية .

٣١ - فالنيل إذن معروف الى مدى مرحلة أربعة أشهر في البر والبحر فضلاً عن مجراه في مصر . ذلك إنك إذا حسبت وجدت أن هذه هي الأشهر التي تقضيها في رحلتك من الفتين إلى هؤلاء الفارين . ويجري النيل من الغرب والشمس الغاربة . ولا يستطيع أحد أن يخبر عن يقين عما وراء هذه المنطقة لأن هذه البلاد مقفرة لشدة حرارتها .

٣٢ - ولكنني سمعت الرواية التالية من بعض القورينائيين . فقد قالوا لي إنهم زاروا مهبط وحى آمون ودخلوا في حديث مع ايتيارخوس^(١) ملك الآمونيين . وفي أثناء الكلام في مسائل مختلفة انساق الحديث إلى النيل وكيف أن أحداً لا يعرف منابعه . فقال ايتيارخوس إنه قد زاره ذات مرة بعض الرجال من النسامونيين (وهؤلاء قبيلة ليبية تسكن منطقة خليج سدرة والبلاد التي تليه شرقاً إلى أمد غير بعيد) ولما دخل عليه النسامونيون وسألهم إذا كان لديهم معلومات جديدة عن صحراء ليبيا ، قالوا

(١) قد يكون الاسم تحريفاً للاسم النوي تهرافا .

إن عندهم نقره من أبناء الأعيان هوج ، لما بلغوا مبلغ الرجال قاموا بمخاطرات خارقة منها أنهم اختاروا من بينهم بالاقتراع خمسة لمعينة صحراء ليبيا ليروا إذا كان في مقدورهم أن يروا شيئاً أكثر مما رأى الذين عاينوا أبعاد الآماد . (في هذه الأجزاء من ليبيا التي تقع على البحر الشمالى مبتدئة من مصر وممتدة إلى رأس سولوجس^(١) وهو آخر حدود ليبيا ، ينتشر كثير من القبائل الليبية على طول ساحل البحر ، وليبيا فيما وراء الشعوب التي تصل بلادها إلى البحر مليئة بالحيوانات المفترسة ، في حين أنها فيما يلي الأجزاء التي تغشاها الحيوانات المفترسة صحراء رملية لاماء فيها البتة وجرداء للفاية .) هؤلاء الشبان حينما أرسلهم أقرانهم مزودين كما ينبغي بالماء واللؤن اخترقوا أولاً البلاد المأهولة ، وبعد أن جاوزوها وصلوا إلى البلاد التي تغشاها الحيوانات المفترسة وجاوزوها إلى الصحراء متخذين طريقهم صوب الغرب وبعد أن ساروا أياما كثيرة في صحراء رملية شاسعة رأوا أخيراً أشجاراً في سهل باسقة ، فلما وصلوا إليها شرعوا يقطفون ما عليها من ثمار ، فلما لمسوها حتى جاءهم رجال قصار أضال من الرجل العادى ، وقبضوا عليهم وساقوم أسرى . ولم يفهم النسامونيون شيئاً من لغتهم ولا فهم أسرهم شيئاً من لغة النسامونيين . وساقوم عبر مستنقعات واسعة فلما جاوزوها وصلوا إلى مدينة كل من فيها في حجم أسريهم وفي لونهم ، سود . ويجوار هذه المدينة ينساب نهر كبير يجرى من الغرب إلى الشمس المشرقة . وترى فيه التماسيح

(١) هو رأس سيارتل الآن أو رأس كاتن

٣٣ — ولأكتفى الآن بهذا القدر من قصة ايتيارخوس الاموني ،
 إلا أنه قرر أن النسامونيين رجعوا سالمين — هكذا أخبرني القورنيانيون —
 وإن القوم الذين كانوا قد وصلوا إليهم كانوا جميعاً من السحرة . أما ذلك
 النهر الذي يجري بالقرب من المدينة فقد استنتج ايتيارخوس أنه نهر النيل ،
 والدليل العقلي يحملنا على الأخذ بهذا الرأي . ذلك أن النيل ينبع من ليبيا
 ويشطر ليبيا في منتصفها ، وهو يبدأ — فيما أستنتج أنا بالاستدلال من
 المعلوم على المجهول — على بُعد يساوي بُعد نهر الطونة . لأن نهر الطونة
 يبدأ من عند الكلتيين ومدينة بيريني وينساب شاطراً أوروبا في الوسط
 (الكلتيون وراء أعمدة هرقل وهم يجاورون الكينيسيين الذين يسكنون
 في أقصى الغرب من كل سكان أوروبا) . وينتهي مجرى نهر الطونة مخترقاً
 أوروبا كلها بأن يصب في البحر في ذلك الموقع من البحر الأسود الذي
 أنشأت فيه جالية ملطية مستعمرة ايستريا^(١) .

٣٤ — ولقد عرف الكثيرون مجرى نهر الطونة لأنه ينساب في مناطق
 مأهولة ولكن ليس في مقدور أحد أن يقول شيئاً عن منابع النيل ، لأن
 ليبيا التي ينساب فيها غير مأهولة وجرداء . ولقد وصفت مجراه إلى أقصى
 ما بلغت في أبحاثي وهو يصب في مصر . وتقع مصر في مواجهة المناطق
 الجبلية من كيليكية تقريباً . والمسافة من هنا إلى سينوب وهي على البحر
 الأسود مسيرة خمسة أيام في طريق مستقيم للرجل المجد . وتقع سينوب في
 (١) مستعمرة ملطية على البحر الأسود في إقليم دوروج بالقرب من مدينة نسطنچي

مواجهة نهر الطونة حيث يصب في البحر . لذلك يبدو لي أن النيل
يخترق ليبيا كلها وينظر نهر الطونة . ولتفنع الآن بهذا القدر من الحديث
عن نهر النيل .

٣٥ - ولكني سأستهل حديثي عن مصر مسهباً . لأنها تشتمل على
روائع أكثر من سائر العالم ، وترينا آثاراً تفوق الوصف بالنسبة لسائر
البلاد . من أجل هذه الأسباب إذن سأحدث عنها أكثر من البلاد
الأخرى : المصريون نظراً إلى مناخ بلادهم الخاص ، وإلى أن نهرهم له
طبيعة خاصة مغايرة لطبيعة سائر الأنهار ، قد اتخذوا لأنفسهم عادات وسنناً
مخالفة من كل الوجوه تقريباً لما يتخذه سائر الشعوب . فالنساء عند المصريين
يذهبن إلى الأسواق ويمارسن التجارة ؛ أما الرجال فيقون في البيوت
وينسجون وينسج سائر الناس بدفع اللحم من أسفل إلى أعلى أما المصريون
فيدفعونها من أعلى إلى أسفل ، والرجال يحملون الأثقال على رؤسهم أما
النساء فيحملنها على أكتفاهن . وهم يتغوطون في بيوتهم ويأكلون في
الخارج في الطرقات ، محتجين بأن الضرورات القبيحة يجب أن تؤتى في
الخفاء ، أما غير القبيحة فتؤتى جهراً . والمرأة عندهم لا تكون كاهنة لإله أو
إلهة ، أما الرجال فمنهم الكهنة لكل الآلهة والآلهات . وليس عندهم من
تكليف يضطر البنين إلى كفالة والديهم إذا لم يشاءوا . والتكليف عام بالنسبة
للبنات حتى لو لم يشأن .

٣٦ - وكهنة الآلهة في كل مكان آخر يطلقون شعورهم ، أما في مصر

فيحلقونها ، والسنة عند سائر الشعوب في الحداد أن يحلق الذين يتصل بهم الأمر من قريب رؤوسهم ، أما المصريون فبعد وقوع الموت يطلقون شعورهم على رؤوسهم وأجسادهم وقد كانت من قبل مخلوقة . ويعيش سائر الناس بعيداً عن الحيوانات أما المصريون فيعيشون معها . ويعيش سائر الناس على القمح والشعير ، والمهانة العظمى لمن يعيش عليهما من المصريين فهم يصنعون خبزهم من الذرة التي يسميها البعض القمح الوحيد الحبة وهم يعجنون العجين بالأقدام ، أما الطين فبالأيدي وبها يرفعون الروث ، أما الثياب فللرجل الواحد ثوبان وللمرأة ثوب واحد ، ويربط سائر الناس حلقات الشراع وجبالها من الخارج، أما المصريون فيربطونها من الداخل . ويكتب اليونانيون ويحسبون بمد اليد من اليسار إلى اليمين أما المصريون فيمدونها من اليمين إلى اليسار . وفيما هم على هذا النهج يقولون إنهم يكتبون إلى اليمين ، في حين أن اليونانيين يكتبون إلى اليسار ، وهم يتخذون نوعين من الكتابة واحدة تسمى عندهم مقدسة والأخرى عامة^(١) .

٣٧ — وهم شديدو التقوى — أكثر من سائر الشعوب . وهذه هي السنن التي يتبعونها : يشربون من أقداح برونزية ويغسلونها كل يوم — كلهم بغير استثناء — وهم شديدو الاحتفال بأن تكون الملابس الكتانية التي يلبسونها حديثة الغسل دائماً . ويحلق الكهنة كل أجسامهم كل يومين ، لثلاث يتولد فيها قمل أو غيره من الحشرات أثناء قيامهم بخدمة الآلهة .

(١) الكتابة المقدسة هي الهيروغليفية والعامة هي الديموطيقية

ويتخذ الكهنة ثيابهم من الكتان وحده وأحذيتهم من البردى . ولا يسمح لهم بلبس غير ذلك من الملابس أو الأحذية . وهم يستحمون مرتين كل نهار بالماء البارد ومرتين بالليل . وهم يرعون من الطقوس ما لا يعد ولا يحصى كما تقول . وهم يتمتعون كذلك بامتيازات كثيرة : فهم لا يستهلكون ولا ينفقون شيئاً من دخلهم الخاص ، بل يخبز لهم خبز مقدس ، ويعطى كل واحد منهم كل يوم قدر كبير من لحم الثيران والأبوز . والتمر التي تقدم لهم مصنوعة من العنب ، ولا يجوز لهم تناول الأسماك . ولا يبذر المصريون القول في حقولهم مطلقاً ، ولا يذوقون ما قد ينبت منه فجاً أو مطبوخاً . أما الكهنة فلا يطبقون النظر إليه لأنهم يعتقدون أنه بقل دنس . وليس لكل واحد من الآلهة كاهن واحد — بل كثيرون . وأحدهم هو كبير الكهنة . وحينما يموت واحد من الكهنة ، يعين ابنه في مكانه . ويعتقدون أن الثيران مقدسة لا يافوس وهم لذلك يفحصونها بالطريقة الآتية : إذا رأى الكاهن شعره واحدة سوداء في بدن الثور اعتقد أن الحيوان دنس . ويقوم واحد من الكهنة يوكل إليه هذا الأمر بفحص الحيوان حينما يكون الحيوان قائماً مرة وراقداً أخرى ، ويجذب لسانه ليرى إذا كان طاهراً بحسب سميات معينة سأتناولها بالكلام في موضع آخر^(١) . ويفحص شعر الذيل كذلك ليرى إذا كان الشعر ينبت طبيعياً . فإذا كان الثور طاهراً من كل هذه الوجوه يختمه بأن يلف قطعة من البردى حول

(١) في الكتاب الثالث ، فصل ٢٨ .

قرنيه ويلصقها بصلصال لزج ثم يضع عليها خاتمة . وهكذا يذهبون بالثور .
والموت هو العقوبة المقررة لمن يضحي بشور غير مختوم . هذه إذن طريقة
فحص الحيوان .

أما طريقهم في توضيحته فهكذا : يسوقون الثور المختوم إلى المذبح حيث
تكون التضحية ، ثم يشعلون ناراً ، وبعد ذلك يسكبون خمرأ على المذبح
فوق الضحية ، ثم ينحرون داعين للاله . وبعد نحر الذبيحة يفصلون الرأس
أما الجسم فيسلخونه ويأخذونه . وبعد ذلك يستنزلون لعنات كثيرة على
تلك الرأس . أما الذين لديهم سوق وتجار يونانيون في مدينتهم فيحملون
الرأس « إليه ويبيعونه في الحال ، وأما الذين لا يعيش يونانيون بينهم فيلقون
بالرأس في النهر . وهذه هي اللعنات التي يتلونها على الرأس : « إن كانت
مصيبة توشك أن تقع للمضحين أنفسهم أو لمصر على العموم فلتقع على
تلك الرأس » . ويتبع المصريون كلهم فيما يتعلق برؤس الحيوانات المضحي
بها وبتقريب الخمر هذه الشعائر نفسها ، ويطبقونها على كل الذبائح ووفقاً
لهذه السنة لا يذوق أحد من المصريين البتة رأس أى كائن ذى روح .

وتختلف عندهم طريقة استخراج أحشاء الضحية وحرقتها باختلاف
الضحية . وسأبدأ بوصف الطريقة الخاصة بالإلهة^(١) التي يعتبرونها أعظم
الآلهات ويمجسون من أجلها أعظم الأعياد . بعد أن يسلخوا الثور ويفرغوا
من الصلوات يخرجون المصارين كلها ، ولكنهم يتركون داخل الجسم

(١) يظهر أن كلمة إيزيس سقطت من النص بعد كلمة الهة .

الأحشاء والدهن، ثم يقطعون الأرجل وأطراف العجز والأكتاف والرقبة، وبعد أن يقوموا بهذا يملأون بقية جسم الثور خبزاً طاهراً وعسلاً وزيبياً وتيناً وبخوراً ومرأً وغيرها من الطيب. وبعد أن يملأوه بهذه الأشياء يسكبون عليه زيتاً كثيراً ثم يحرقونه. وهم يصومون قبل التضحية، ويضرب الجميع صدورهم أثناء احتراق الضحية. فإذا ما فرغوا من ضرب صدورهم يوضع أمامهم الطعام وهو ما أبقى عليه من جسم الذبيحة.

ويضحى المصريون كلهم بالثيران والمعجول الطاهرة ولا يحل لهم أن يضحوا بالأبقار فهي مقدسة لا يزيس. وتمثال إيزيس على هيئة امرأة ولكن له قرنين، على نفس الصورة التي يصورها اليونانيون إيو^(١) ويعظم المصريون جميعاً على حد سواء الأبقار أكثر من سائر الماشية بكثير. ولذلك لا يقبل مصري أو مصرية يونانياً في فمه، ولا يستعمل سكان يوناني أو سفودة أو قدره، ولا يذوق لحم ثور طاهر إذا كان مقطوعاً بسكين يونانية. وهم يدفنون الثيران الناقمة على النحو الآتي: أما الأناث فيلقونها في النهر وأما الذكور فيدفنها سكان كل إقليم في إقليمهم ويدعون قرناً أو القرنين معاً بارزين حتى يكونا علامة على مكان الدفن. وعندما تتحلل الجثة ويأتي اليوم المعلوم تصل إلى كل مدينة سفينة من الجزيرة التي تسمى

(١) كان اليونانيون يعتقدون أن زيوس أحب أيو ففارت زوجه هيرا ومسخت إيو بقرة. وظلت هذه تنتقل على هذا الحال من أوروبا إلى آسيا إلى أن حطت رحالها في مصر وفيها استعادت هيئتها الأولى وأنجبت إيافوس.

مُروسويتيس^(١) وهي في الدلتا ومحيطها تسعة سخينوس . وفي جزيرة بروسويتيس هذه توجد مدن كثيرة ، أما المدينة التي تأتي منها السفن لتحمل عظام الثيران فاسمها مدينة أثار بيخيس^(٢) وفيها يقوم معبد أفروديت المقدس . ومن هذه المدينة يرسل أقوام فيذهب كل رهط منهم إلى مدينة ، ويستخرجون العظام ويذهبون بها ويدفنونها معاً في مكان واحد . وهم يدفنون سائر الأنعام الناقصة بنفس الطريقة التي يدفنون بها الثيران . سُن على ذلك عندهم بشأن الأنعام أيضاً ، وهم لا يذبحونها .

٤٢ — ويتجنب كل الذين يقيمون لديهم معبداً لزوس الطيبى وأهل إقليم طيبة الأغنام ويضحون بالمعزى . (المصريون لا يعبدون كلهم سواء نفس الآلهة إلا إيزيس وأوزوريس الذى يقولون إنه ديونيسوس ، فكلهم سواء يعبدون هذين الإلهين) . ويتجنب الذين يقيمون لديهم معبداً لمنديس^(٣) وأهل إقليم منديس المعزى ويضحون بالأغنام .

ويروى الطيبون والذين ينحون نحوهم في نبد الأغنام القصة التالية في نشأة هذه السنة : « كان هرقل يريد أن يرى زيوس بأية طريقة ، ولم يشأ هذا أن يراه هرقل ، وأخيراً وبعد أن ألح هرقل اهتدى زيوس إلى

(١) جزيرة في الدلتا حوصر فيها اليونانيون الذين جاءوا لمساعدة إناروس في ثورته ضد الفرس واضطروا إلى التسليم في سنة ٤٥٤ ق م .
(٢) يدل الجزء الأول من الكلمة على أنها مركبة من كلمة آتور أو هاتور وقد كانت إيزيس تعبد بهذا الاسم .

(٣) منديس هنا تعني أوزوريس وكان الكباش يعبد في منديس ولكن اليونانيين

الحيلة الآتية : « سلخ كبشاً وقطع رأسه ، ثم لبس الرأس والفروة وهكذا أظهر نفسه لهرقل » . ولذلك يصوغ المصريون تمثال زيوس ذا وجه كبش . وعن المصريين أخذ الآمونيون ذلك فهم جالية من المصريين ، والأجاش يتكلمون لغة هي وسط بين الإثنيين . ومن هنا أخذ الآمونيون - فيما يبدو لي - اسمهم لأن المصريين يسمون زيوس آمونا، ومن أجل ذلك لا يضحى الطيبيون بالكباش فهي عندهم مقدسة . وهم يذبحون كبشاً واحداً في يوم واحد من السنة في عيد زيوس ويسلخونه ويلبسون تمثال زيوس كما جاء في القصة ، ثم يحضرون إليه تمثالاً آخر يصور هرقل . وبعد أن يأتوا هذا ، يضرب كل من يحفون بالمعبد صدورهم حزناً على الكبش ثم يدفنونه في قبر مقدس .

٤٣ - ولقد سمعت رواية عن هرقل تقول إنه أحد الآلهة الإثنية عشر ولكني لم أستطع أن أعرف شيئاً في أى مكان من مصر عن هرقل الآخر الذى يعرفه اليونانيون . ولدى براهين كثيرة على أن المصريين لم يأخذوا عن اليونانيين اسم هرقل بل أخذته عن المصريين تلك الطائفة من اليونانيين التى تطلق اسم هرقل على ابن أمفيتريون . وإنى أخص بالذكر منها هذا البرهان وهو أن أمفيتريون والكمينا أبوى هرقل هذا كانا كلاهما مصرى المولد . ويقول المصريون إنهم لا يعرفون اسم پوزيدون ولا ديوسقورى^(١) وأن هذين لم يعترف بهما الهين بين سائر الآلهة عندهم فلو أنهم كانوا قد أخذوا

(١) الكلمة تعنى في اليونانية ابنى زيوس وهما كاستور ويولوكس .

عن اليونانيين اسم أى إله لاحتفظوا بذكر هذين قبل سواهما . ولقد كان
المصريون حتى فى ذلك العصر يمارسون الملاحه كما اعتقدو كما يهدى الفكر
وكان بعض اليونانيين ملاحين ، فكان الأولى بالمصريين أن يعرفوا إسمى
هذين الإلهين لا اسم هرقل . لا ، إن هرقل إله قديم جداً عند المصريين ،
فإنهم كما يقولون أنفسهم يعتبرون هرقل واحداً من الآلهة الإثني عشر التى
نشأت عن الآلهة الثمانية قبل حكم أمازيس بسبعة عشر الف عام .

٤٤ — ولقد أردت أن أستقى معلومات دقيقة عن هذه المسائل من
الذين يفقهونها ، فأبحرت إلى صور فى فينيقية إذا علمت أن هناك معبداً
مقدساً لهرقل^(١) . ولقد رأيته مزداناً بكثير من النصب من بينها عامودان
أحدهما من الذهب المصقول والآخر من الزمرد وهو ضخم الحجم ينير فى الليل ،
وبعد أن دخلت فى حديث مع سدنة الإله سألت كم من الزمان انقضى منذ
أقيم عندهم المعبد . ولكنى وجدت أن هؤلاء أيضاً لا يتفقون مع اليونانيين
لأنهم يقولون إن معبد الإله أقيم يوم أنشئت صور ، وأنه قد انقضى على
إنشاء صور ألفان وثلثمائة عام . ولقد رأيت فى صور معبداً آخراً لهرقل يحمل
اسم الثاسوسى . ومن ثم رحلت إلى ثاسوس فوجدت فيها معبداً لهرقل
أقامه الفينيقيون الذين أسسوا ثاسوس أثناء تجوالهم فى البحث عن أوربا
وكان ذلك قبل ميلاد هرقل ابن امفيثيون فى بلاد اليونان بخمسة أجيال
كاملة . هذه الأبحاث إذن توضح بجلاء أن هرقل إله قديم . وهكذا يخيل

(١) هو الإله ملقرت فى صور

إلى ان الطائفة من اليونانيين الذين شيدوا واقاموا معبدين لهرقل يضحون
للأول بصفته أزلياً ولبقوبونه بهرقل الاولمبي، ويقدمون القرابين للثاني
بصفته بطلاً، على غاية من الصواب .

٤٥ - ويروي اليونانيون قصصاً كثيرة غير تدبر منها هذه القصة
السخيفة التي يروونها عن هرقل : إذ يحكى ان هرقل جاء الى مصر فكلل
المصريون رأسه وزفوه في موكب ليضحوا به لزيوس . اما هو فقد اعتصم
بالصمت برهة ولما بدأوا يقيمون طقوس التضحية أمام المذبح لجأ إلى قوة
أسسه وقتلهم جميعاً . ويبدو لى أن اليونانيين يبدون بقولهم هذا جهلهم
العميق بطبيعة المصريين وعاداتهم . فكيف يجوز لقوم لا تحمل لهم التضحية
بالحيوان الا الخنازير والثيران والعجول ما كان منها طاهراً والأوز، أن
يضحوا بأدميين ؟ وكيف يتأتى لهرقل وهو بعد فرد آدمى كما يقولون أن
يقتل كل هذه الألوف ؟ ولكنفى بهذا القدر من الحديث فى هذه المسائل
وليكن حديثنا مقبولاً لدى الآلهة والأرباب .

٤٦ - ولا ينحر المصريون الذين أسلفت ذكركم الماعزة أو الماعز
للأسباب الآتية : يقول أهل منديس إن بان أحد الآلهة الثمانية الذين كانوا
فى زعمهم قبل الآلهة الإثنى عشر . ويرسم المصورون والمثالون صورة بان
ويحفرونها كما هو الأمر عند اليونانيين ذات وجه ماعزة ورجلى ماعز ولو أنهم
لا يعتقدون أنه على تلك الهيئة بل يشبه سائر الآلهة . أما السبب الذى
يصورونه من أجله على تلك الهيئة فأكثر طرافة عندنا من أن نهمل ذكره،

يقدم أهل مندس كافة المعزى ولكن الذكور منها أكثر من الإناث ورعاة الذكور يحظون بتعظيم أكثر من رعاة الإناث . ويقدم واحد من الذكور بوجه خاص ، فإذا مات يم الحداد العظيم كل إقليم مندس . وفي مصر يسمى الماعز ويان كلاهما بمندس .

٤٧ — ويرى المصريون أن الخنزير حيوان دنس . فأولا ، إذا لامس واحد أثناء عبوره خنزيراً ذهب إلى النهر وألقى فيه بنفسه بملابسه من فوره . وثانياً ، رعاة الخنازير ، مع أنهم مصري المولد ، لا يدخلون دون سائر المصريين معبداً واحداً من جميع معابد مصر ، ولا يرضى أحد أن يزوجه من ابنته . أو يتخذ منهم زوجاً ، بل إن رعاة الخنازير يتزاوجون فيما بينهم . والآن ، فمع أن المصريين لا يوافقون على نحر الخنازير لسائر الآلهة فإنهم ينحرونها لسيليني وديونيسوس وحدهما في وقت واحد وذلك عند ما يكون القمر بدرأ ، وبعد نحرها يأكلون لحماً . أما لماذا يكرهون الخنازير في سائر أعيادهم ، وينحرونها في هذا العيد ، فلا يجوز لي أن أذكر السبب الذي يتحدث به المصريون ، ولو أتى عالم به . وعتر الخنازير لسيليني يكون على النحو الآتي : عند ما يمترها الماتري يضع طرف الذيل والطحال والغشاء المهبل بعضها مع بعض ثم يلفها معاً بكل ما يوجد حول بطن الحيوان من دهن ، ثم يحرقها قرباناً . ويؤكل باقي اللحم في البدر الذي تقرّب فيه العتيرة . ولا يذوقونه البتة في سائر الأيام . أما الفقراء منهم فقللة مواردهم يصورون من العجين خنزيراً ويخبزونه ثم يقدمونه قرباناً .

٤٨ - وفي ليلة العيد ينحرك كل واحد أمام بيته عفرأ لديونيسوس ثم يردّه إلى الراعى الذى باعه إياه ليأخذه . ويحجى المصريون سائر شعائر العيد لديونيسوس بطريقة تشبه الطريقة المتبعة في بلاد اليونان من جميع الوجوه تقريباً ، فيما عدا الرقص ، وبدلاً من المذاكير ابتكروا تمثالا طوله ذراع يتحرك بواسطة خيط يحمله النساء ويظفن به فى القرى . ويكون الذكر متحركاً ولا يقل كثيراً فى حجمه عن الجسم كله . ويتقدم الزمار الموكب ، وينشد النساء اللأى يتبعنه المدائح لديونيسوس . وهم يدلون بقصة دينية تبين لماذا كان الذكر كبير الحجم ، ولماذا يتحرك دون سائر الجسم .

٤٩ - ويدولى أن ميلامپوس^(١) بن أنيثيون لم يكن جاهلاً بهذا العيد ، بل كان عالماً به . فميلامپوس كان أول من أدخل فى بلاد اليونان اسم ديونيسوس^(٢) وعيده وموكب الذكر ، وهو لم يفهم على وجه الدقة العقيدة التى بشر بها بحذاقها . ولكن الفقهاء الذين تلوه أوضحوها أحسن منه . ومهما يكن من شئ ، فإن ميلامپوس هو أول من أدخل الذكر الذى يحمل فى موكب ديونيسوس . وعنه أخذ اليونانيون ما يعملون . وإنى أقر أن ميلامپوس كان رجلاً حاذقاً ، وضع لنفسه طريقة للعرافة ، وأنه تعلم من مصر أشياء كثيرة مختلفة أدخل منها فى بلاد اليونان شعائر ديونيسوس مع

(١) كان اليونانيون يعتقدون أن ميلامپوس أخذ الحكمة عن الحية ، وعن وحى أبوللو ، وهو فى زعمهم أقدم الحكماء والرايين .

(٢) جاءت عبادة ديونيسوس من الشمال لا من فينيقية كما يقول .

تعديل بسيط . وإني لن أقر بحال أن شعائر ديونيسوس في مصر وفي بلاد اليونان متفقة بمحض المصادفة . فلو كان الأمر كذلك لكانت شعائر ديونيسوس في بلاد اليونان تحمل طابع العادات اليونانية ، وما كانت حديثة الدخول فيها . لا ولن أقول إن المصريين أخذوا هذه السنّة أو أى سنّة غيرها عن اليونانيين . والرأى عندي على وجه التحقيق أن ميلامبوس تعلم شعائر ديونيسوس من قادموس^(١) الصورى ومن أولئك الذين ارتحلوا معه من فينيقية إلى البلاد التي تدعى الآن بيوشيا .

ولقد جاءت أسماء الآلهة كلها تقريباً إلى بلاد اليونان من مصر . فأما أنها قد أتتنا كلها من الأجانب فأمر قد حققته بالبحث ، ويبدو لي أن أكثرها جاء من مصر . ذلك أن أسماء الآلهة فيما عدا اسمي پوزيدون والديوسقورى — كما ينت آنفأ — واسماء هيرا وهيسثيا ، وشمس ، وخاريتيس ونيريدبس^(٢) ، كانت دائماً منذ قديم الزمان في أرض مصر . وإني أقر هنا ما يذكره المصريون أنفسهم . أما أسماء الآلهة التي يقولون إنهم يجهلون فيبدو لي أن الهيلاسجيون هم الذين أسموها ، فيما عدا پوزيدون فقد عرفوا هذا الإله من الليبيين . إذ أن اسم پوزيدون لم يوجد

(١) هو إن ملك فينيقية ، وكان اليونانيون يعتقدون بحق أن الحروف الهجائية جاءتهم من فينيقية .

(٢) هيرا زوج زيوس كبير الآلهة ، وهيسثيا — عند الرومان فتا — هي ربة نار المنزل المقدسة ، وشمس آلهة القانون والنظام ، وخاريتيس من آلهات الرشافة والجمال ، والنيريدبس كن خمسين من آلهات البحر .

منذ البدء عند قوم غير اليبين الذين كانوا يعظمون هذا الإله دائماً ،
ولا يعترف المصريون بالأبطال أيضاً .

٥١ — ولقد أخذ اليونانيون عن المصريين هذه الشعائر وغيرها فضلاً
عنها مما سأتى على ذكره . ومع ذلك فهم لم يتعلموا من المصريين صناعة
تماثيل هرمس ذات الذكر المنتصب فقد كان الآثينيون أسبق اليونانيين
كلهم إلى أخذها عن الپيلاسجيين ، وعندهم أخذها سائر اليونانيين . فقد
حدث في الوقت الذي كان الآثينيون قد اعتبروا فيه فعلاً من اليونانيين
أن شاركم الپيلاسجيون في سكنى أرضهم ، ومنذ تلك الحادثة بدأ
الاعتراف بالپيلاسجيين كيونانيين .

وكل من دخل في طقوس الكايري^(١) السرية التي أخذها الساموثرافيون
عن الپيلاسجيين ، ويجيئونها الآن يفهم ما أعنى . فهؤلاء الپيلاسجيون
الذين أصبحوا شركاء للآثينيين في وطنهم كانوا من قبل يسكنون ساموثراقيا .
وأخذ عنهم الساموثرافيون طقوسهم السرية . فالآثينيون إذن ، وهم أول
من صنع تماثيل هرمس ذات الذكر المنتصب من اليونانيين تعلموا صنعها
من الپيلاسجيين . ويروى الپيلاسجيون قصة دينية عن هرمس يتجلى
مغزاها في طقوس ساموثراقيا السرية .

(١) آلهة رحيمة مقرها جزيرة ساموثراقيا . وقد أقيم لعبادتها معبد في منف
اتسك فيزحرمته عند ماغزا مصر . ويظهر من كلام هيرودوت أنه دخل في هذه
العبادة .

٥٢ — كان البيلاسيجيون من قبل — فيما علت بالسماح في دودونا يشفمون توضيحاتهم كلها بالدعاء لآلهة لم يطلقوا على واحد منها كنية أو اسماً ، لأنهم لم يكونوا قد سمعوا بعد بأسمائها . وسموها آلهة لأنها ترتب كل شيء ويدها كافة الأقدار . وبعد مضي زمن طويل عرفوا أسماء الآلهة كلها عندما جاءتهم من مصر ما عدا اسم ديونيسوس فقد عرفوه بعد ذلك بزمن طويل . و بعد حين استنبأوا هاتف دودونا بشأن الأسماء ، لأن هذا الهاتف يعتبر أقدم هاتف في بلاد اليونان وكان حينئذ الهاتف الوحيد فيها . لما استنبأ البيلاسيجيون هاتف دودونا عما إذا كان لهم أن يتخذوا الأسماء التي جاءتهم من الأجانب ، أجاب بأن عليهم أن يتخذوها . ومنذ ذلك الحين استعمالوا الأسماء اثناء التضحية ، وعن البيلاسيجيون أخذها اليونانيون فيما بعد .

٥٣ — ولم يعرف اليونانيون من أين نشأ كل واحد من الآلهة أم هل كانوا جميعاً أزليين وما شكلهم إلا بالأمس أو أول من أمس كما يقولون . وإني شخصياً أعتقد أن هيسودوس^(١) وهو ميروس عاشا قبل زمانى باربعائة سنة لا أكثر ، وهما اللذان أثبتا لليونانيين أنساب الآلهة وأطلقا عليها القابها وفصلا عباداتها واختصاصاتها ، وينا أشكالها . وإني شخصياً أعتقد أن الشعراء الذين يقال إنهم سبقوا هذين قد عاشوا في الحقيقة بعدهما .

(١) شاعر يونانى من مدينة أسكرا في بيوشيا عاش حوالى ٧٠٠ ق. م . بعد هوميروس على التحقيق وأهم أعماله هي كتاب « الأعمال والأيام » و « درج هرقل » .

والشطر الأول مما سلف هو مما تذهب إليه كاهنات هاتف دودونا ، أما الشطر الثانى فى هيسيدوس وهوميروس فما أقول به أنا شخصياً .

ويروى المصريون القصة التالية بشأن الهاتفين اللذين يوجد أحدهما فى بلاد اليونان والآخر فى ليبيا . قال كهنة زيوس فى طيبة أن الفينيقيين سرقوا امرأتين مقدستين من طيبة واخذوها الواحدة إلى ليبيا والأخرى إلى بلاد اليونان حيث بيعتا ، وإن هاتين المرأتين هما اللتين أنشأنا الهاتفين أولاً فى الموضوعين المذكورين . ولما سألتهم كيف تأتى لهم أن يتحدثوا بهذا العلم الدقيق اجابوا بأنهم لم يستطيعوا العثور عليهما بالرغم من قيامهم من جانبهم يبحث شامل عنهما ، وأنهم عرفوا فيما بعد القصة التى أدلوا بها .

هذا إذن ما سمعته من الكهنة فى طيبة . أما عرفات دودونا فقد روين ما يلى : « طارت حمامتان سوداوان من طيبة المصرية ، فذهبت إحداهما إلى ليبيا وسطت الأخرى عندهم ، واعتلت هذه شجرة سندان وأعلنت بصوت آدمى أنه قد أوحى أن يقوم هاتف لزيوس هناك . وفهم القوم أن البشرى ربانية ، وأقاموه وفقاً لهذا الوحي . أما الحمامة التى ذهبت إلى ليبيا فقد أمرت الليبيين بإقامة هاتف آمون وهو خاص بزيوس كذلك » . هذا ما روته كاهنات دودونا ، وتسمى كبراهن برومينا ، التى تليها تيماريتى وأصغرن نيكاندرى . ويوافقهن سائر الودونيين اللذين يتصلون بالمعبد فيما ذهبن إليه .

٥٦ — وهذا هو رأي الشخصى فى هذه المسائل : إذا كان الفينيقيون قد اقتنصوا هاتين المرأتين المقدستين حقيقة ، وابعوا إحداهما فى ليبيا والأخرى فى بلاد اليونان ، فيخيل إلى ان الثانية قد بيعت إلى التيسپروتين الذين ينتمون إلى ما يسمى الآن بلاد اليونان وقد كانت هى بعينها تسمى فيما سبق بلاد بيلاجيا . وفيها هى تحيا هناك حياة الرق أقامت تحت شجرة سنديان نامية معبداً لزيوس ، فقد كان من الطبيعى بعد أن خدمت فى معبد زيوس فى طيبة أن تحتفظ بذكراه حيث ذهبت . وبعد أن تطلعت اللغة اليونانية أقامت هاتفاً فى المعبد . وقالت إن أختها قد بيعت فى ليبيا على يد اولئك الفينيقيين الذين باعوها هى أيضاً .

٥٧ — ويبدو لى أن الدودونيين قد سموا المرأتين حمامتين لأنهما كانتا أجنبيتين ، فحيل لهم أنهما تخرجان أصواتاً مثل الطير . وبعد حين قالوا إن الحمامة تتكلم بصوت آدمى وذلك عندما اخرجت المرأة كلاماً لسيهم . ولكنها طالما كانت تتكلم لغة أجنبيه بدت كأنها تخرج أصواتاً مثل الطير . كيف يتأتى لحمامة أن تتحدث بصوت آدمى ؟ وهم حين يقررون أن الحمامة كانت سوداء يبينون أن للمرأة كانت مصرية . وتتشابه طرق الاستنباء عند الهاتف الذى فى طيبة وذلك الذى فى دودونا . ولقد جاءت العرافة عن طريق النظر فى أحشاء الضحية من مصر كذلك .

٥٨ — ولقد كان المصريون ولا شك أسبق الشعوب إلى إقامة

الأعياد والمواكب والصلوات ، وعندهم تعلمها اليونانيون . والدليل عندى على ذلك أنها تقام عندهم منذ زمان طويل ولم تحى الأعياد اليونانية إلا حديثاً .

٥٩ — ولا يحى المصريون العيد مرة واحدة فى السنة ، بل إنهم يحيون أعياداً كثيرة أهمها وأقدسها يقام فى مدينة بوباسطيس لارتيمس ويلىه ما يقام فى بوسيريس ، فى هذه المدينة معبد ضخم لايزيس ، وهى تقع فى وسط الدلتا المصرية ، وإيزيس فى اللغة اليونانية هى ديميتير ، وثالثها يقيمونه فى مدينة سايس لأثينة ، ورابعها فى مدينة هليوبوليس لهليوس ، وخامسها فى مدينة بوطون لليطو وسادسها فى مدينة پاريميس لأريس .

٦٠ — وحينما ييمون شطر مدينة بوباسطيس يسلكون السلك الآتى:
يبحر الرجال والنساء معاً ، ويكون فى كل قارب لقيف كبير من الجنسين ويمسك بعض النسوة بالطبول ويطنن فى حين يزمر بعض الرجال طوال الرحلة ، أما باقى النسوة والرجال فيغنون ويصفقون . وكلما وصلوا فى طريقهم تجاه مدينة ما ، جنحوا بمركبهم نحو الشاطئ ، ويدأب بعض النسوة على عمل ما قد وصفت ، ويهتف بعضهن بنساء المدينة ويسخرن منهن ، ويرقص بعضهن ، وهم ينهجون هذا النهج عند كل مدينة على شاطئ النهر ، وعند ما يصلون إلى بوباسطيس يحيون العيد بتضحيات عظيمة ، ويستهلك من النبيذ فى هذا العيد أكثر مما يستهلك فى بقية العام كله ، ويجتمع لإحياء

هذا العيد من الرجال والنساء دون الصبيان حوالى ٧٠٠ الف نسمة فيما يقول أهل البلاد .

٦١ - هذه إذن هي سنتهم في هذا العيد ، ولقد وصفت فيما سبق كيف يحيون العيد لايزيس في مدينة بوسيريس ، فهناك بعد التضحية ، يضرب الرجال والنساء جميعاً صدورهم ، وهم آلاف كثيرة جداً من الناس ، وليس لى أن أذكر على من يحددون . ويتأدى الكاريون^(١) المقيمون في مصر في تلك الأعمال حتى أنهم ليقطعون وجوههم بالسكاكين وهكذا يظهرون أنهم أجنب وليسوا مصريين .

٦٢ - وعند ما يجتمعون للتضحية في مدينة سايس يشعل كل واحد في الليل مصابيح كثيرة في الهواء في دائرة حول منزله ، وهذه المصابيح عبارة عن صحاف مملوءة بمزيج من الملح والزيت ويطقو على سطحها الفتيل وتشتعل المصابيح طوال الليل ، ومنها أطلق على العيد اسم «عيد المصابيح» . أما الذين لا يذهبون من المصريين إلى الاحتفال فيحرصون على أن يشعروا هم أنفسهم أجمعين المصابيح في ليلة التضحية . وهكذا فالعيد لايقام في سايس وحدها بل في مصر كلها . وهم يروون قصة دينية تبين السبب الذى من أجله تقضى هذه الليلة وتضاء .

٦٣ - ويقرب الذين ييممون شطر مدينة هليوبوليس وبوطو التضحيات فحسب . أما في پاريميس فيقربون التضحيات ويحيون الشعائر

(١) من مقاطعة كارية في الجنوب الغربى من آسيا الصغرى .

كما في سائر البلاد . وحينما تجنح الشمس للغيب تتفرغ طائفة قليلة من الكهنة لتمثال الإله ، أما أكثر الكهنة فيقفون في مدخل المعبد ممسكين بمصى خشبية ، ويقف قبيلهم رهط آخر من الرجال يوفون نذورهم ، وهم يزيدون عن الألف عدداً ، ويمسكون بمصى خشبية مثل الآخرين . أما تمثال الإله فيوضع في مقصورة صغيرة من الخشب المذهب وينقل في ليلة العيد إلى موضع مقدس آخر . أما الفئة القليلة التي كانت قد تركت للعناية بالتمثال فتجر مركبة ذات أربعة عجالات ، فوقها المقصورة وقد وضع فيها تمثال الإله . ويحاول الكهنة الواقفون بمدخل المعبد أن يمنعوا من الدخول فيخف الذين يوفون النذور لتجدة الإله ويضربونهم . فيدافع هؤلاء عن أنفسهم وهنا تحمي معركة الفصى ، وتشج رؤوس ، ويبدولى أن الكثيرين يموتون مجراحهم ، ولو أن المصريين ينفون أن أحداً يموت من جرائها .

والسبب في إحياء هذا العيد فيما يقول أهل البلاد هو أن أم آريس كانت تسكن في هذا المعبد ، ولما بلغ آريس مبلغ الرجال جاء بغية التحدث إلى أمه لأنه كان قد ربي بعيداً عنها ، ولم يكن وصفاء أمه قد رأوه من قبل فلم يأذنوا له في الدخول بل رده . فجمع رجالاً من مدينة أخرى وأخذ الوصفاء بشدة ، ودخل إلى أمه ، ذلك هو أصل المعركة التي يقيمونها تكريماً لآريس فيما يقولون .

٦٤ - والمصريون هم أول من جعل من عدم مجامعة النساء في المعابد وعدم دخول المعابد بعد الجماع دون اغتسال سنة دينية مرعية . وكل

الشعوب تقريباً فيما عدا المصريين واليونانيين يجمعون في المعابد ويدخلونها بعد الجماع دون اغتسال . وهم يرون أن شأن الإنسان في ذلك شأن سائر الحيوان، فالحيوان والطير يعاشر في معابد الآلهة وحرماً . فلو أن ذلك الأمر لم يكن محبباً إلى الرب ما أتاه الحيوان . وهم يتعللون بمثل هذه المبررات لأعمال هي عندي غير مرضية . ويرعى المصريون بصرامة سائر المناسك في معابدهم وعلى الأخص هذا الذي ذكرت .

٦٥ — ومع أن مصر متاخمة لليبيا فهي ليست غاصة بالحيوانات . وكل الحيوانات التي عندهم تعتبر مقدسة ، وبعضها مستأنس والبعض الآخر غير مستأنس . ولو أنني ذكرت الأسباب التي قدست من أجلها الحيوانات لاستطردت في حديثي إلى الشئون الدينية وهو أمر أتحاشى بوجه خاص الخوض فيه . أما ما عرضت له مما ذكرت من هذه الشئون فقد ذكرته مدفوعاً بمقتضى الحديث . والسنة الغالبة في أمر هذه الحيوانات هي أن يعين من المصريين ، رجال ونساء ، حراساً لكل نوع منها على حدة ، ويتوارثون هذه الوظيفة الابن عن أبيه . ويوفى كل واحد من سكان المدين نذوره إليها بالطريقة الآتية : حينما يندرون للإله الذي يقدس له الحيوان ، يحلقون رؤوس أبنائهم إما الرأس كله أو نصفه أو ثلثه ، ويقومون الشعر برزته فضة ، ويعطى المنذر قدرزته مهما تكن إلى حارسة الحيوان ، وفي مقابل هذا يقطعون شريحة من السمك ويقدمونها للحيوانات غذاء .

هذه هي الترتيبات التي خصت بها هذه الحيوانات . والموت عقوبة من

يقتل واحداً من هذه الحيوانات عامداً . أما إذا قتل امرؤ أحدها غير عامد فيؤدى الجزاء الذى يفرضه الكهنة ، أما إذا كان ما قتل أبو منجل أو صقر فسواء كان قاتلها عامداً أو غير عامد يقتل حتماً .

٦٦ - وكثير من الحيوانات عندهم مستأنسة . وكانت تكون أكثر مما هي بكثير لو لم تتعرض القطة لما يأتى : حيث أن الإناث منها عندما تلد لا تعاشر الذكور فتصبح الذكور بالرغم من شبقها غير قادرة على معاشره الإناث ، فقد فكرت لذلك بنجث في أن تغتصب من الإناث صغارها أو تسرقها وتقتلها ، ولكنها لا تأكلها بعد قتلها . وبعد أن تحرم الإناث صغارها ، تصبح شديدة الرغبة فى غيرها وهكذا تذهب إلى الذكور ولاشك ، ذلك أن هذا الحيوان شديد الحب لصغاره . وحينما يشب حريق يستولى على القطة إحساس غريب . فينتحى المصريون جانباً ، ويهملون إطفاء الحريق ، ويراقبون القطة . فتنسب القطة بين الناس ، أو تقفز فوق رؤوسهم ، وتثب إلى النار . وتصيب هذه الحوادث المصريين بحزن عظيم . وإذا ماتت قطة فى بيت شخص موتاً طبيعياً يحلق كل أهل البيت حواجبهم فقط ، أما إذا مات فى اليب كلب فيحلقون الجسم كله والرأس أيضاً .

٦٧ - وتنتقل القطة بعد موتها إلى مقاصير مقدسة فى مدينة بوباسطيس حيث تحنط وتدفن . أما إناث الكلاب فيدفنها أهل كل مدينة فى مقابر مقدسة . ويدفن النمس بنفس الطريقة التى تدفن بها الكلاب .

أما الجرزان والصقور فتنتقل إلى مدينة بوطو، وينقل أبو منجل إلى مدينة هرموبوليس، أما الدببة وهي نادرة، والذئاب وهي لا تزيد عن حجم الثعالب، فتدفن حيثما توجد ميتة.

٦٨ — وهذه هي طبيعة التماسيح: لا تأكل شيئاً في أشهر الشتاء الأربعة. والتمساح ذو أربع قوائم ويعيش في الأرض والماء على السواء، ويضع بيضه ويفقسه على الشاطئ ويمضي أكثر النهار على الأرض الجافة ولكنه يمضي الليل كله في النهر لأن الماء يكون حينئذ أسخن من الهواء والندى. وهو دون سائر ما نعرف من كائنات، ينمو من أصغر حجم إلى أكبره، لأن بيضه لا يزيد كثيراً عن حجم بيض الأوز، وحجم صفاره يتناسب مع حجم البيض، ولكنه يظل ينمو حتى يبلغ سبع عشرة ذراعاً بل أكثر. وله عينا خنزير وأسنان ضخمة وأنياب تتناسب مع حجم جسمه. وهو وحده دون سائر الحيوانات لا ينمو له لسان، ولا يحرك فكاه الأسفل، ولكنه وحده دون سائر الحيوانات كذلك يطبق فكاه الأعلى على الأسفل، وله مخالب قوية وجلد على الظهر مغطى بالفلوس لا ينفذ منه شيء. ومع أن التمساح أعشى في الماء فهو حاد البصر جداً في الهواء، وفه من الداخل مملوء كله بالعلق لأنه يعيش في الماء. وتتجاشاه الحيوانات كلها والطيور، إلا الزقزاق فإنه على وثام معه، فهو يستفيد منه. إذ حينما يخرج التمساح من الماء إلى الأرض يفتر فاه (هو يفعل ذلك عادة في مهب الرياح

الغرية) ، فحينئذ يدخل الزقراق في فمه ويلتقط العلق . ويُسمّر التمساح
لهذه الخلدمة ولا يؤذى الزقراق .

٦٩ — والتماسيح مقدسة عند بعض المصريين ، ولكنها عند البعض
الأخر غير مقدسة بل يتخذونها أعداء . والذين يعيشون حول طيبة وبحيرة
مويريس يعتبرونها مقدسة جداً . وتربّي كل من هاتين الفئتين تمساحاً
واحداً من بينها كلها ، وبعد أن يدربونه ليصير مستأنساً ، يضعون أقراطاً
من الحجر المذاب^(١) والذهب في أذنيه ، وأساور حول قائمته الأماميتين ،
ويقدمون له غذاء خاصاً وأصحيات ويعاملونه أحسن معاملة في حياته فإذا
مات يحنطونه ويدفونونه في مقابر مقدسة . أما الذين يعيشون حول مدينة
الفتين فلا يعتبرونها مقدسة حتى إنهم ليأكلونها . والمصريون لا يسمونها
عظايات بل خامبسي (تماسيح) فالأيونيون هم الذين أطلقوا عليها اسم
عظايات بمقارنة هيئتها بهيئة العظايات التي توجد على الحيطان عندهم .

٧٠ — وهناك طرق كثيرة مختلفة لصيدها ، وإني لأذكر الطريقة التي
تبدولى أجدرها بالتسجيل . يضع الصياد حول الشص عجيزة خنزير ثم
يلتقي بالشص في وسط النهر ، ويقف هو على شاطئ النهر ومعه خنزير صغير
حتى يضربه ، وعند ما يسمع التمساح صوت الخنزير يتجه صوب الصوت ،
فيلاقى العجيزة ويتلع الشص ، ثم يجرونه إلى الشاطئ . وعند ما يُجر إلى

(١) لعل الحجر المذاب نوع من الزجاج أو الحزف المصقول ولا تزال تقوب
الأقراط ترى في آذان هياكل التماسيح المخططة .

الشاطيء يكون أول ما يعمله الصياد هو أن يلطخ عينيه بالطين ، فإذا فعل ذلك أمم عملية الصيد بغاية السهولة ، وإذا لم يفعله تم بصعوبة .

٧١ — وقرس النهر مقدس في إقليم بايريميس ، ولكن سائر المصريين لا يقدسونه . وهذه هي سحنته الخاصة التي يطالعا بها : من ذوات الأربع ، له حافر مشقوق مثل ظلف الثور ، مفرطح الأنف وله معرفة حصان وأنياب بارزة ، وله من الحصان ذيله وصوته ، ويكون في حجم أكبر ثور ، وجلده غليظ حتى أن قنا الرماح تصنع منه بعد تجفيفه .

٧٢ — وتوجد كلاب الماء كذلك في النهر ، وتعتبر مقدسة . ويعتبر مقدساً من الأسماك النوع الذي يسمى الشبوط وتعبان الماء وهذان النوعان من الأسماك مقدسان — فيما يقولون — للنيل ، وكذلك الشبق من الطير .

٧٣ — وهناك طائر مقدس آخر يسمى الفونقس : وإنى لم أراه إلا مصوراً ،

فإن زيارته للبلاد نادرة — كل خمسمائة عام فيما يقول أهل هليو پوليس . وهو يزورهم — فيما يقولون — عند ما يموت والده ، فإذا كان يشبه الرسم فوصفه كما يأتي : ريش جناحيه بعضه ذهبي وبعضه أحمر ، وهو شديد الشبه بالنسر في منظره وحجمه . وهم يقولون — وقولهم هذا لا يبدو لي جديراً بالتصديق — أن هذا الطائر يدبر الحيلة الآتية : يغطى والده بطبقة من المر ، وينطلق من بلاد العرب حاملاً والده إلى معبد الشمس ويدفنه هناك . وإنه يحمله على النحو الآتي : يصنع بيضة من المر كبيرة بقدر ما يستطيع حمله . ثم يجرب أن يحملها . وبعد أن يجرب ذلك تماماً ، يجوف البيضة ويضع

والده فيها بحيث يكون ثقل البيضة والوالد داخلها بعد تجوفها مثل ثقلها وهي كلها من المر المصمت . وبعد أن يغطى والده هكذا يحمله إلى معبد الشمس في مصر . ذلك ما يفعله هذا الطير فيما يقولون .

٧٤ - وتوجد حول طيبة حيات مقدسة غير مؤذية للإنسان على الإطلاق ، وهي صغيرة الحجم جداً ، ولها قرنان نابتان في مقدم الرأس . وهم يدفنونها بعد موتها في معبد زيوس ، لأنها - فيما يقولون - مقدسة لهذا الإله .

٧٥ - وفي بلاد العرب مكان يقع تجاه مدينة بوطو تقريباً ، وقد زرته أثناء بحثي عن الحيات المجنحة . فلما وصلت رأيت عظام حيات وأعمدتها الفقرية بكثرة تفوق الوصف ، فقد كانت هناك أكوام من الأعمدة الفقرية بعضها كبير ، وبعضها أصغر منها ، وبعضها أصغر من هذه أيضاً . وكانت هذه الأكوام كثيرة . وهذا هو وصف هذا المكان الذي تنتشر فيه هذه الأعمدة الفقرية : ممر ضيق في الجبل ينفرج عن سهل فسيح يتاخم سهل مصر . وتذهب الرواية إلى أن الحيات المجنحة تطير في الربيع من بلاد العرب صوب مصر ، ولكن الطائر أبا منجل لا يدعها في طريقها بل يبيدها . ويقول الأعراب إنه من أنجل هذه الخدمة يقدر أبو منجل عند المصريين تقديساً عظيماً . ويوافق المصريون على أنهم يقدرسون هذه الطيور من أجل هذه الخدمات .

٧٦ - وهذه هي هيئة أبي منجل : أسود حالك السواد كله ، وله رجلا

غراب ومنقار شديد التقوس وهو فى حجم الكركى . تلك إذن هيئة أبى منجل الأسود الذى يصارع الحيات . وهذا وصف أبى منجل الذى يروح ويندو بين الناس فى الأغلب الأعم : أصلع الرأس والرقبة كلها ، وأبيض الريش فيما عدا الرأس والرقبة وأطراف الجناحين وطرف الذيل . فكل هذه الأجزاء التى ذكرتها حالكة السواد . وهو يشبه النوع الآخر فى منقاره ورجليه . وتشبه الحيات المنجحة حيات الماء فى الشكل ، فأجنحتها ليست ذات ريش بل تشبه على وجه التقريب أجنحة الخفافيش . ولنكتف الآن بما قلنا فى الحيوانات المقدسة .

٧٧ - أما عن المصريين أنفسهم فأولئك الذين يعيشون على الأرض للزراعة ، أقمه من زرت للتحرى من الناس طراً بكثير ، وذلك لعنايتهم بتثقيف ذا كرتهم . وهم يتهجون هذا الضرب من الحياة : يطهرون جوفهم بالقيوء والحقن الشرجية ثلاثة أيام سوياً كل شهر سعياً وراء الصحة ، معتقدين أن كل الأمراض تصيب الناس من الأكل الذى يتغذون به . وهم - حتى بشير هذا - أصح الناس قاطبة خلا الليبيين ، وهذا يرجع فيما أظن إلى الجو فهو غير متغير . فالأمراض تصيب الناس غالباً من التغير أياً كان وخصوصاً تغير الطقس ، وهم يعيشون على الخبز الذى يصنعونه من القمح الوحيد الحبة ويسمونه « كيليستيس » . ويتعاطون خمراً مستخرجة من الشعير إذ لا يوجد فى بلادهم كروم . أما السمك فيجففون بعضه فى الشمس ويأكلونه نيئاً ، ويحفظون البعض الآخر فى الملح . أما ما يجذونه عندهم

فما عدا ذلك من الطيور والأسماك — إلا ما يعتبرونه مقدساً — فياً كلونه إما مشوياً أو مطبوخاً .

٧٨ — وفي ولائم أغنيائهم ، عندما يفرغون من طعامهم ، يطوف بهم رجل يحمل جثة في نعش . أما الجثة فتتخذة من الخشب ، ومصورة ومنقوشة وشديدة الشبه بجثة حقيقية ، وحجمها حوالى ذراع أو ذراعين على وجه الإجمال . ويقول الرجل كلما أراها الى أحد الحاضرين « إشر ب وإله وأنت تنظر إلى هذه ، فتصير مثل هذه بعد موتك » . هذا إذن ما يفعلونه في ولائمهم .

٧٩ — ويتمسك المصريون بتقاليد آبائهم ولا يضيفون إليها تقليداً واحداً جديداً . ومن بين تقاليدهم المختلفة التى تستحق الذكر نشيد هو « نشيد لينوس »^(١) . وهو ينشد في فينيقية وقبرص وغيرها من البلدان ، وله أسماء متغايرة عند الشعوب المختلفة . والإجماع على أنه هو نفس النشيد الذى ينشده اليونانيون باسم « لينوس » . وإن أشد ما يثير العجب فى مصر من بين ما نعجب له فيها من أشياء كثيرة ، المصدر الذى إشتقوا منه إسم لينوس ، فهم يتغنون به دائماً من قديم الزمان . « ولينوس » يسمى فى اللغة المصرية « مانيروس »^(٢) . ولقد قال لى المصريون إنه كان الخلف الوحيد

(١) نشيد ينون فيه الصيف إذا اتعضى . وكان المستمعون يرددون فى الدور قول « الويل لنا » وهو فى اللغات السامية « أى لينو » وهذه عرفت فأصبحت فى اليونانية أيلينوس ثم لينوس .

(٢) لعلها من الكلمة المصرية « ما - ن - مرا » أى « جثا ثانية » .

لأول ملك لمصر ، ولما مات قبل أوانه كرمه المصريون بهذا النشيد ، وأن هذا كان النشيد الأول والوحيد عندهم .

٨٠ — ويشبه المصريون الألاقيديمونيين وحدهم دون اليونانيين في وجه آخر . إذا قابل الصغار منهم الكبار أفسحوا لهم الطريق وتحنوا جانباً . وإذا أقبل عليهم الكبار قاموا من مقاعدهم . ولكنهم لا يشبهون شعباً واحداً من اليونانيين في عادة أخرى ، هي أنهم بدلا من أن يحموا بعضهم بعضاً في الطرقات ، ينحنون خافضين أيدهم إلى الركبة .

٨١ — وهم يلبسون قمصاناً من التيل بموجة عند القدمين يسمونها « كلاسيريس » ، و يلبسون فوقها أردية من الصوف الأبيض تسدل على الكتف ، ولا يحمل أحد منهم رداء صوفياً إلى المعابد ، ولا يدفن به ، فذلك غير مباح . وهم يتفقون في هذه الطقوس مع الطقوس التي يسمونها أورفية^(١) وباخوسية وهي في الحقيقة مصرية وفيثاغورسية^(٢) ، فلا يباح لواحد ممن يدخلون هذه النحل أن يدفن وعليه أردية صوفية . وتروى قصة دينية في هذه المسائل .

٨٢ — ويرجع الوقوف على المعلومات الآتية إلى المصريين أيضاً ،

(١) سميت أورفية نسبة إلى اورفيوس الشاعر الكاهن القديم . وقد سادت هذه العقائد بلاد اليونان في القرن السادس قبل الميلاد . وكانت قائمة على الشعور بالخطيئة والحاجة إلى المغفرة والإيمان بجلود الروح .

(٢) نسبة إلى فيثاغورس وهو فيلسوف يوناني ولد في جزيرة ساموس حوالي سنة

٥٧٠ ق.م. وكان يؤمن بتناسخ الأرواح .

وهي باسم أى الآلهة يسمى كل شهر وكل يوم ، وأى الحظوظ سيلاقى كل من يولد فى يوم كذا أو كذا ، وعلى أى نحو سيقضى نجه ، وأى رجل سيكون .

ولقد إستغل اليونانيون الذين يتعاطون الشعر هذه المعلومات . وقد عرف من علامات التيب عند المصريين أكثر مما عرف عند سائر الشعوب كافة . وذلك بأنه كلما تبدت علامة راقبوا نتيجتها ودوتوها ، فإذا تبدى ما يشابهها بعدئذ مرة أخرى ، حسبوا أن نتيجته ستكون مثل نتيجة الأولى .

٨٣ — وهذا هو حال الإخبار بالغيب عندهم : لا يعزى هذا الفن إلى أحد من الناس ، بل يعزى إلى بعض الآلهة . فعندهم هاتف لهرقل وأبلو وآثينة وأرتيمس وأريس وزيروس ، ويوجد هاتف لليطو فى مدينة بوطو ، وهم يولون هذا من التقديس أكثر مما يولون سائر الهواتف . وطرق الإخبار بالغيب عندهم ليست واحدة بل مختلفة .

٨٤ — والتطبيب عندهم مقسم إلى الفروع التالية ، إذ كل طبيب يختص بداء واحد لآكثر ، وكل البلدان عندهم خاصة بالأطباء ، لأن بعض الأطباء مختصون بالعيون ، وبعضهم بالرؤوس ، وبعضهم بالاسنان ، وبعضهم بالامعاء وبعضهم بالأمراض المجهولة .

٨٥ — وهذه هى أساليب الحداد والدفن عندهم : اذا مات رجل وكان ذا إعتبار وقد فارق بيته ، لطنخ نساء هذا البيت كلمهن رؤوسهن أو وجوههن بالطين ثم يتركن الجثة فى البيت ويظفن بالمدينة لاطمات خدودهن

ورافعات ذبولهن وكاشفات عن صدورهن ومعهن كل قرياتهن . أما الرجال فيمكنون حيث هم ، ويلطمون خدودهم ، ويرفعون أرديتهم . وعند ما يفرغون من ذلك يأخذون الجثة لتحنط .

٨٦ — وهناك قوم يتخصصون في التحنيط ويتخذونه صناعتهم، وعندما تحمل الجثة إلى هؤلاء ، يعرضون على الذين يأتون بها ، نماذج لجث متخذة من الخشب ومصورة بحيث تحاكي الحقيقة . وتعمى أحسن طرق التحنيط فيما يقولون لمن ^(١) لا يصح أن أذكر اسمه في معرض الحديث في مثل هذا الموضوع . والطريقة الثانية التي يعرضون نماذج منها تقل عن هذه إتقاناً ونفقة ، والثالثة أرخصها . وبعد أن يجربونهم بذلك يعرفون منهم بأى الطرق يريدون أن تهيأ الجثة . وبعد أن يتفق أصحاب الجثة على الأجر يذهبون في سبيلهم ، وبعد أن يتخلفوا المحنطين في محلهم ، ينصرف هؤلاء إلى عملية التحنيط على النحو التالي إذا كان التحنيط بأحسن الطرق : يستخرجون أولاً المخ من اللخارين بواسطة أداة حديدية معقوفة ، يستخرجون بعضه بهذه الوسيلة والبعض الآخر بصب عقاقير فيه . وبعد ذلك يشق الكشح بحجر حبشى مسنون ، ويخرجون الأحشاء كلها ، وبعد أن ينظفوها وينسلوها بنجر البلح ، ينسلونها ثانية بالتوابل المجروشة ، ثم يملؤون الجوف بمرق مجروش وسليخة وسائر الطيب ما عدا البخور ثم يخيطونها بالتالى ، وبعد أن يقوموا بذلك يحنطون الجثة بتفعليتها بالنظرون سبعين يوماً ، ولا يجوز أن

(١) يعنى أوزيريس .

تستمر عملية التحنيط أكثر من ذلك ، وعند ما تنتهى السبعون يوماً ، ينسلون الجثة ويلقونها كلها بلفائف مقطوعة من الكتان الرقيق النسج، مدهونة بالصمغ الذى يستخذه المصريون فى أكثر الأحيان بدلا من الغراء ، وبعد أن يتسلم أهل المتوفى الجثة يصنعون تمثالا من الخشب مجوقاً على هيئة إنسان ويضعون فيه الجثة ، وبعد أن يدخلوها فيه يحفظونها فى غرفة للدفن ويجعلونها قائمة مسندة إلى الحائط .

- ٨٧ — على هذا النحو إذن يجهزون الجثث بأكثر الطرق نفقات . أما الجثث التى يطلب أصحابها الطريقة الوسطى ويهربون من النفقات ، فيجهزونها على النحو التالى : يملأون حقمهم بزيت الصنوبر ويملاؤن به جوف الجثة ، وهم لا يشجون الجثة ، ولا يستخرجون الأحشاء ، بل يدخلون الزيت من الشرج ويسدونه ليمنعوا الزيت من الانسياب خارجاً مرة أخرى ، وبعد ذلك يحفظون الجثة طوال الأيام المعينة . وأخيراً ينزلون من الجوف الزيت الذى كانوا قد أدخلوه من قبل . ولهذا الزيت قوة كبيرة حتى أنه ليجرف معه الأحشاء والمصارين وقد تحللت . وحيث أن النطرون يأكل اللحم فالذى يتبقى من الجثة هو الجلد والعظام فقط . وبعد أن يصنعوا ذلك يرجعون الجثة إلى أصحابها ولا يعنون بها بعد ذلك .
- ٨٨ — وهذه هى طريقة التحنيط الثالثة ، وهى المستعملة فى تجهيز جثث رقيقى الحال : ينسلون الجوف بماء الفجل ثم يحفظون الجثة سبعين يوماً ، وبعد ذلك مباشرة يسلمونها لأهل المتوفى ليذهبوا بها .

٨٩ — أما زوجات مشاهير الرجال ، والنساء الفاتكات الجمال البعيدات الصيت ، فلا يسلن بعد موتهن مباشرة ليحنطن . فهم لا يسلوهن للمحنطين إلا بعد انقضاء ثلاثة أيام أو أربعة أيام على موتهن ، وهم يسلكون هذا المسلك ليمنعوا المحنطين من التمثيل بالجثث ، ذلك أن أحدهم قد قبض عليه فيما يقولون متلبساً بمواقعة جثة امرأة حديثة الموت ، وقد أبلغ عنه زميل له في العمل .

٩٠ — وإذا وجد أحدٌ من المصريين أو الأجانب — وهم في ذلك سواء — ميتاً وقد اغتاله تمساح أو أغرقه النهر نفسه ، فعلى أهل البلدة التي جرف عندها أن يحنطوه ويجهزوا الجثة على أحسن وجه ، ويدفونوه في مقبرة مقدسة . ولا يسمح لأحد من أقرباء المتوفى أو من أصدقائه بلمسه بل يسمح بذلك لسكينة النيل أنفسهم فحسب ، فهم الذين يتناولون الجثة ويدفونوها بأيديهم لأنهم يعتبرونها شيئاً أعظم من مجرد جثة إنسان .

٩١ — وهم يتحاشون اتخاذ العادات اليونانية ، بل هم بوجه عام يتحاشون كل عادات سوام من الناس على الإطلاق . وهكذا يحافظ سائر المصريين على هذا التقليد . ومع ذلك فتوجد مدينة عظيمة هي خيس في إقليم طيبة بالقرب من مدينة نيابوليس ، ويوجد في هذه المدينة باسم برسسيوس بن داناي ، معبد مربع ينمو حوله النخيل . وبوابة هذا المعبد من الحجر ، وهي كبيرة جداً يقوم فوقها تمثالان عظيمان من الحجر . ويوجد في هذه الساحة مجراب يقوم فيه تمثال لبرسيوس ، ويقول أهل

خيس أنه كثيراً ما يتجلى لهم برسوس في البلاد ، وكثيراً ما يظهر داخل المعبد ، وأنهم كثيراً ما يجدون الخلف الذي ينتعله ، وطوله ذراعان ، وأنه حينما تحدث ظاهرة التجلي هذه ، تزدهر مصر كلها . هذه هي روايتهم . وهم يقيمون الطقوس اليونانية من أجل برسوس فيعقدون مباريات رياضية تشتمل على جميع فنون المسابقات ، ويقدمون جوائز — أغناماً وأردية وجلوداً . ولما سألت لما ذا كان من عادة برسوس أن يتجلى لهم وحدهم ولما ذا يقيمون المباريات الرياضية مخالفين بذلك سائر المصريين أجاوبوا بأن برسوس أصله من مدينتهم ، وأن دناؤس وليتكيبوس^(١) اللذان أبحرا إلى بلاد اليونان كانا من أهل خيس ، وذكروا الأنساب باثنين بهذين ووصلوا بها إلى برسوس ، وقالوا : إن برسوس لما جاء إلى مصر للغرض الذي يقول به اليونانيون أيضاً ، أى لإحضار رأس جورجوس^(٢) من ليبيا تعرّف على أهله جميعاً ، وأنه كان على علم تام باسم خيس قبل أن يزور مصر ، إذ أنه كان قد سمع به من أمه ، وأنه قد أمرهم بإقامة المباريات الرياضية باسمه .

٩٢ — ويرعى المصريون الذين يعيشون فيما وراء المستنقعات كل هذه التقاليد ، ويرعى سكان المستنقعات التقاليد عينها ، التي يراها سائر

(١) تنهب الأساطير لى أن ليتكيبوس ابن شقيقة دناؤس ، وأن خيديميدناؤى هي أم برسوس .

(٢) بينى ميديوسيا وقد كانت جدتل شعرها حيات مرعبة تحيل كل من ينظر إليها صغراً وقد استطاع برسوس بواسطة امرأة أن يقتلها وأن يحمل رأسها إلى مصر .

المصريين من جميع الوجوه ، ومن حيث أن كل واحد منهم يتخذ زوجة واحدة مثل اليونانيين تماماً ، ولكنهم توفيراً للحبوب اكتشفوا الطريقة الآتية : عند ما يحدث الفيضان ويعمر النيل السهل ، ينبت السوسن في الماء بكثرة ، ويسميه المصريون البشتين ، وهم يجمعون هذا ويجففونه في الشمس ويطحنون ما يكون في وسط البشتين من حب ، وهو يشبه الخشخاش ويصنعون منه أرغفة تحبز على النار، وجذر البشتين صالح للأكل هو الآخر، وهو لذيذ الطعم نوعاً ، مستدير الشكل ، في حجم التفاحة . وهناك أنواع أخرى من السوسن تشبه الورد ، وهي مثل البشتين ، تنبت في النهر . وتنمو ثمرته من جذر في كأس على ساق منفرد ، وهو يشبه في شكله خلية النحل . وتوجد في هذه الكأس حبات كثيرة صالحة للأكل ، وهي في حجم نوى الزيتون ، تؤكل طازجة وجافة . أما البردى الذي ينبت سنوياً فيقتلعونه من المستنقعات ، ويقطعون الجزء الأعلى منه ويحولونه إلى أغراض مختلفة . أما الجزء الأسفل المتخلف ، وطوله ذراع تقريباً فيأكلونه ويبيعونه . أما شديد الرغبة في تناول البردى أحلى ما يكون فيأكلونه بعد طبخه في فرن فخارية محمية ، ويعيش بعض هؤلاء القوم على الأسماك فحسب ، وهم حين يصيدونها يستخرجون أحشائها ويجففونها في الشمس ثم يأكلونها جافة .

٩٣ — ويوجد في النهر قليل من سمك الأسراب، وهذه تسلك بعد أن ترعرع في البحيرات السلوك التالي . فعند ما تجتاحها شهوة التلقيح تسبح إلى

البحر في سرب ، ويقود الذكور السرب وتنثر اللقاح فتلتقطه الإناث التي تتبع الذكور وتجل به . وحينما تحمل في البحر تقفل راجعة من توها كل واحدة إلى مكانها، ولكن الذكور لا تعود بعد قائدة للسرب بل إن الإناث تكون في الطليعة . وحينما تكون الإناث في مقدمة السرب ، تصنع كما كانت الذكور تصنع تماماً . فهي تنثر بيضها شيئاً فشيئاً الواحدة منه في حجم حبة الذرة ، فبتلعمها الذكور التي تتبعها ، وهذه الحبات هي الأسماك . فن الحبات التي تهمل ولا تُبتلع تكون الأسماك التي تنمو . وترى الأسماك التي تسبح في رحلتها نحو البحر وقد تهشم الجانب الأيسر من رأسها . في حين أن تلك التي تسبح راجعة ترى وقد تهشم الجانب الأيمن منها . وهي تتعرض لهذا الأذى للسبب التالي : في طريقها إلى البحر تلزم جانب الشط الذي إلى اليسار ، وفي أثناء رجوعها ثانية تلزم نفس الجانب مقتربة منه وحافة به إلى أقصى حد ، وذلك لثلاث تخطيء الطريق من جراء التيار . وحينما يبدأ النيل في الفيضان تكون الفجوات التي في الأرض والبرك التي بالقرب من النهر أول ما يبدأ في الامتلاء بالماء ، وذلك لتسرب الماء من النهر إليها . وبمجرد امتلائها بالماء تصبح كلها في التوغاصة بالأسماك الصغيرة . ويخيل إلى أنني أفهم لماذا كان من الطبيعي أن يحدث ذلك . فعند ما هبط النيل في السنة السابقة تركت الأسماك بيضها في الطين وقفلت راجعة مع آخر ما انحسر من الماء . وعند ما تنقضى الفترة المألومة ويرجع الماء ثانية ، تنتج هذه الأسماك على الفور من هذا البيض . ولتكشف الآن بهذا القدر من الحديث في الأسماك .

٩٤ — والمصريون الذين يعيشون حول المستنقعات يتخذون زيتاً من ثمار نبات الخروع ويسميه المصريون « كيكى » وهم يستخرجونه بالطريقة الآتية : يبذرون هذا الخروع على حوافى الأنهار والبحيرات . (ينمو نوع برى منه من تلقاء نفسه فى بلاد اليونان) . والذى يبذر فى مصر يحمل ثماراً كثيرة ولكنها كريهة الرائحة ، وبعد أن يجمعوا هذه الثمار ، يقطعها البعض ويعصرها ، أما البعض الآخر فيحمصونها ويغلونها ويجمعون ما يقطر منها . وهذا السائل يكون لزجاً ولا يقل صلاحية عن زيت الزيتون للمصباح ، إلا أن له رائحة كريهة .

٩٥ — ولقد لجأوا إلى الحيلة الآتية ضد البعوض وهو كثير عندهم : فأما الذين يسكنون فى وراء المستنقعات فيستغنون بأبراجهم إذا تسنموا وناموا فيها ، لأن البعوض لا يستطيع أن يخلق إلى هذا الارتفاع تحت ضغط الرياح . وأما الذين يسكنون حول المستنقعات فقد لجأوا إلى حيلة أخرى عوضاً عن الأبراج . يزود كل واحد منهم بشبكة يصيد بها السمك أثناء النهار أما بالليل فيستخدمها على النحو الآتى : يبسط الشبكة حول السرير الذى ينام عليه ، ثم يتسلل داخلها وينام تحتها . أما إذا لف نفسه فى رداء أو ملاءة من الكتان ونام عرضه البعوض من خلال النطاء ، مع أن البعوض لا يقرب الشبكة البتة .

٩٦ — وتصنع سفنهم التى تحمل البضائع من شجر اللبخ وهو قريب الشبه فى شكله بالبشيين القورينائى ، وهو ينضج الصمغ . وبعد أن يقطعوا

الأخشاب من هذا اللبخ ألواحاً طول الواحد منها ذراعان ، يصفونه كما يصفون اللبن ، ويصنعون منه السفينة على النحو الآتى : يعشّون الألواح التي طول الواحد منها ذراعان حول أوتاد طويلة متلاصقة . وبعد أن ينواهيكل السفينة على هذا النحو يمدون عوارض على أعاليها . وهم لا يستخدمون الضلوع بل يسدون القواصل التي بالداخل بالبردى . ويصنعون دفعة واحدة تدفع في قاع السفينة . ويتخذون السارى من اللبخ والشراع من البردى . ولا تستطيع هذه السفينة أن تسير ضد التيار إذا لم تواتها ريح شديدة ، بل تجر حينئذ من الشاطئ . وهى تسير مع التيار على النحو الآتى : يوجد إطار مصنوع من الأثل وقد حُشى بقصب مجدول ، وحجر مخروم زنته طالنطان تقريباً . يطلق السفان الإطار وقد ربط بجبل ليطفو أمام السفينة ، ويلقى بالحجر ورائها وقد ربط بجبل آخر . ويدفع التيار الإطار فيتحرك بسرعة ويجر « الباريس » (هذا هو اسم هذه السفينة) . أما الحجر فيجر ورائها ، وحيث أنه في قعر النهر ، فهو يضبط سير السفينة في طريقها . وعندهم من هذه السفن أعداد غفيرة ، ويحمل بعضها آلافاً عديدة من الطالنطات .

٩٧ - وحينما يضر النيل البلاد ، تبدو المدن وحدها فوق الماء وتكون شبيهة بعض الشيء بالجزائر التي في بحر إيجه ، ويصبح سائر أجزاء مصر بجزراً ، وتكون المدن وحدها فوق الماء . وحينما يحدث هذا لا يلتزم المصريون مجرى النهر ، بل ينتقلون في مراكبهم في وسط السهل ، فإذا صعّدت في

النهر من مدينة نوقراطيس إلى منف يكون سيرك بجانب الأهرام نفسها .
وليس هذا هو الطريق العادى ، بل الطريق العادى يسير بجوار رأس الدلتا
وبجوار مدينة كركاسوروس . وإذا أبحرت من البحر فالفرع الكانوبى
إلى مدينة نوقراطيس عبر السهل ، وصلت إليها ماراً بمدينة أثيللا والمدينة
التي تسمى — نسبة إلى أرخاندروس — « مدينة أرخاندروس » .

٩٨ — أما أثيللا فمدينة ذات شأن وقد عزلت وأعطيت لزوج من
يكون جالساً على عرش مصر لمشتري أحدىها . ولقد ساد هذا التقليد منذ
العصر الذى خضعت فيه مصر لقارس . أما المدينة الثانية فيخيل إلى أنها
أخذت اسمها من ختن دناؤس وهو أرخاندروس بن فيثيوس بن أخيبوس ،
إذ أنها تسمى مدينة « أرخاندروس » . ولعله قد كان هناك رجل آخر يسمى
أرخاندروس ، ولكن الاسم على أية حال ليس مصرياً .

٩٩ — لقد ذكرت إلى الآن مشاهداتى الخاصة وآرائى وأبحاثى ولكنى
أبدأ من الآن بذكر الروايات المصرية كما سمعتها وسأضيف إليها شيئاً من
مشاهداتى الخاصة كذلك .

أخبرنى الكهنة أن مينا كان أول من تولى ملك مصر وإنه هو الذى
أوجد موقع منف بتحويل مجرى النهر ، فقد كان النهر كله يجرى ناحية
المضبة الرملية فى الجانب اليبى . ولكن مينا — بادئاً من أعلا — كوّن بوساطة
السدود ، الحنية التى تقع إلى الجنوب من منف بمقدار مائة ستاد ،
وهكذا جفف المجرى القديم . هذا فى حين أنه احتفر مجرى جديداً للنهر

حتى ينساب في طريق وسط بين الهضبتين . (ولا تزال حنية النيل هذه التي تكونت بتحديد مجراه بالسدود باقية الى الآن ، ولا يزال القوس إلى الآن يزالون حنية النيل هذه التي تكونت بتحديد مجراه بالجسور بالعناية الفائقة ، ولا يزالون يدعمون جوانبها كل عام ، لأنه إذا اجتاحت النهر الجسور في هذه المنطقة ، لأصبحت منف كلها في خطر من الترقق .) وبعد أن تهبأت لدينا وهو أول ملك للبلاد هذه الرقعة التي جفت بعد حبس الماء عنها ، أنشأ فيها تلك المدينة التي تدعى الآن منف (ذلك أن منف ليست في الدلتا بل في وادي النيل) . وحفر - بادئاً من النهر - بحيرة خارج المدينة متجهة إلى الشمال والغرب ، (النيل نفسه يحدّها من ناحية الشرق) ، ثم أقام في المدينة معبد هيفا يستوس وهو ضخّم وجدير بالذكر .

١٠٠ - ولقد قرأ لي الكهنة من دَرَج بردى أسماء ثلاثمائة وثلاثين

ملكاً آخرين بعد مينا . وكان بين كل هذه الأجيال من الرجال ، ثمانية عشر ملكاً من الأحباش وامرأة واحدة من أهل البلاد ، أما سائر الملوك فكانوا مصريين . أما إسم المرأة التي كانت ملكة فكان مثل إسم الملكة البابلية تماماً : نيتوكريس . وقالوا لي إنها أهلكت الكثيرين من المصريين بخدعة لثأر لأخيها الذي كان ملكاً على المصريين وقتلوه وولوها للملكة بعد أن قتله . فقد ابنتت بهواً رحيباً تحت الأرض ، وأعلنت قائلة إنها تفتتعه ولكنها في السر كانت تدبر أمراً آخرأ . دعت إلى وليمة جمعاً غفيراً من المصريين ممن كانت تعلم أن لهم على الخصوص يدأ في الجريمة ،

وأطلقت عليهم أثناء تناولهم الطعام ماء النهر من أنبوبة واسعة خفية . هذا هو كل ما قالوه لى عن هذه الملكة ، فيما عدا أنها عندما أتمت الجريمة قذفت بنفسها فى غرفة مليئة بالرماد حتى تُعفى من العقاب .

١٠١ - ولم يذكروا لى عملاً من الأعمال الجيدة قام به واحد من الملوك الآخرين ، أو أن أحدهم كان ذا نصيب من الشهرة إلا آخرهم وهو مويريس ، فقد خلف هذا بمثابة تذكار لحكمه بهو معبد هيفا يستوس الذى يتجه إلى الشمال . واحضر بحيرة سابين طول محيطها مقيساً بالاستاد فيما بعد ، وابتنى فيها أهراماً ساذكر أبعادها فى معرض الحديث عن البحيرة نفسها . هذه هى الآثار التى خلفها هذا الملك ولم يخلف واحد من الآخرين شيئاً .

١٠٢ - وإنى سأضرب صفحاً عن هؤلاء ، وسأتى على ذكر الملك الذى تلامه واسمه سيسوستريس^(١) . قال الكهنة إنه أولاً ألقع بسفن حربية من الخليج العربى وهزم القوم الذين يسكنون على سواحل البحر الأحمر ، وأنه واصل إبحاره قدماً إلى أن وصل إلى منطقة فى البحر لم يعد البحر يصلح فيها للملاحة لضحولته . وبعد ذلك رجع ثانية إلى مصر . وحشد بحسب رواية الكهنة جيشاً كبيراً وقاده مخترقاً القارة ، وهزم كل الشعوب التى كانت فى طريقه وكلما قابل منهم يوماً شعباناً يتشبثون

(١) هو سنوسرت الثالث من فرعونة الأسرة الثانية عشر (١٨٦٠ ق م تقريباً) وقد تضخمت شخصيته فى تخيلة الشعب فزاد اليه كثيراً من أعمال الفرعونة الآخرين

بصرامة بحريتهم أقام في بلادهم أعمدة عليها نقوش تبين اسمه ووطنه وكيف أنه هزمهم بقوته . أما إذا لم تقاوم المدن وأخذت بسهولة ، كتب على الأعمدة التي يقيمها عندهم بنفس الأسلوب الذي اصطنعه في حالة الشجعان وأضاف إلى النقش عورة امرأة ، يريد أن يبين بذلك أنهم كانوا جبناء .

١٠٣ - وعلى هذا النحو عبر القارة وجاوز آسيا إلى أوروبا وهزم السكيثيين^(١) والتراقيين . وهذه الجهات كانت فيما اعتقد أقصى ما وصل إليه الجيش المصري ، فمع أن الأعمدة ترى قائمة في بلاد هذه الأقوام فإنها لا ترى أبعد من ذلك . وبعد ذلك تحول وقفل راجعاً . ولا يمكنني أن أقرر على وجه الدقة ماذا حدث بعد ذلك عندما وصل إلى نهر فاسيس ، هل فصل الملك سيسوستريس جزءاً من جنده وتركهم ليستوطنوا تلك البلاد ، أم أن طائفة من الجنود أنهكتها الرحلة فتخلقت بالقرب من نهر فاسيس ؟

١٠٤ - ذلك أنه من الجلي أن الكوثليين مصريون . وإني قد فطنت إلى الرأي الذي أذهب إليه الآن بنفسى قبل أن أسمع من الآخرين . ولما خطر هذا الرأي في بالى استجوبت كلا الشعبين وعلمت أن الكوثليين يذكرون المصريين أكثر مما يذكرون المصريين الكوثليين ، هذا مع أن المصريين

(١) هم قبائل متعددة في جنوب روسيا ، وليس من المحقق أنهم آريون أم مغوليون . ولقد إندر هذا الجنس كله التي ذكر كثيراً في التاريخ القديم ، دون أن يترك آراً واحداً في تاريخ الحضارة الإنسانية .

برون أن الكوثليين كانوا جزءاً من جيش سيسوستريس . ولقد خنت أن الأمر كذلك لأن الكوثليين سُمِرَ البشرة وجعد الشعر فحسب ، فذلك لا يهديننا إلى شيء لأن غيرهم من الناس على هذا الوصف أيضاً ، ولكن لحجة أعظم ، وهي أن الكوثليين وحدهم مع الأحباش والمصريين دون سائر البشر مارسوا عادة اختتان منذ البدء . فالفينيقيون والسوريون في فلسطين يقررون هم أنفسهم أنهم عرفوا هذه العادة من المصريين ، هذا في حين أن السوريين الذين يعيشون حول نهري ثرمودون وبارثينيوس ، والمالكرونيين^(١) الذين يجاورونهم يقررون أنهم تعلموا هذه العادة حديثاً عن الكوثليين ، وهؤلاء وحدهم هم الذين يمتحنون . والظاهر أنهم يمارسون هذه العادة وفقاً لسنة المصريين . أما عن الأحباش والمصريين ، فلا يمكنني أن أقرر أيهما أخذ العادة عن الآخر ، فن الجلى أنها عادة قديمة جداً . أما أن الشعوب الأخرى قد تعلمت هذه العادة باتصالها بمصر ، فإلى عليه دليل قاطع وهو أن الذين يتصلون باليونانيين من الفينيقيين لا يقلدون المصريين بل يتركون أولادهم بلاختان .

١٠٥ - دعني الآن أتحدث إليك بعادة أخرى يشبهون فيها المصريين ، فهم والمصريون فقط يصنعون التيل وذلك بطريقة واحدة بينها . وهم يتشابهون في أسلوب حياتهم كله وفي لغتهم . ويسمى اليونانيون التيل

(١) هم قبيلة في الجنوب الشرقى من البحر الأسود بالقرب من طرايزون .

الكولنجي^(١) التيل السارديني أما التيل الذى يأتهم من مصر فيسمونه التيل المصرى .

١٠٦ - وبالرغم من أن أكثر ما أقامه الملك سيسوستريس من أعمدة فى الأقطار لم تعد قائمة بعد ، فقد رأيت بنفسى فى فلسطين أعمدة قائمة عليها النقوش التى ذكرتها وكذا عورة المرأة . ويوجد فى أيونيا تماثلان^(٢) لهذا البطل منحوتان فى الصخر أحدهما فى الطريق المؤدية من أفسوس إلى فوكايا والآخر فى الطريق المؤدية من سارديس إلى سميرنا ، والتماثل المحفور فى كلا الحالين لرجل ضخم طوله أربعة أذرع ونصف ممسكا بحربة فى يده اليمنى وبقوس فى يده اليسرى ، وسائر عدته على هذا النحو ، فهى مصرية وحبشية . ويمتد بعرض الصدر من كتف إلى كتف نقش محفور باللغة المصرية المقدسة يقول « لقد فتحت هذا البلد بقوة كتفى » . وهو لم يبين هنا من أى بلد جاء فقد أوضح ذلك فى موضع آخر . ويظن بعض من رأوها أن التماثل لمنون^(٣) ولكنهم يحيدون فى ذلك عن الحق كثيراً .

١٠٧ - ولما كان سيسوستريس المصرى هذا راجعاً وقد أحضر رجالاته كثيرين من الشعوب التى كان قد غزا أراضيها ، حدث فيما قال الكهنة أنه

(١) الكولنجيون قبيلة كبيرة كان موطنها الناطىء الشرق من البحر الأسود .
(٢) كشفت الحفائر عن التماثلين فى كرابل ولكنها ليسا صناعة مصرية ، بل من صناعة الحيثيين .

(٣) هو ابن لبيوس إلهة النجر وملك الحبشة وقد خلط اليونانيون بينه وبين أمينوفيس الثالث أحد ملوك الأسرة الثامنة عشرة . وفسروا الأنتام التى يطلقها التماثل فى القير بأنها تجية ممنون لأمه إلهة النجر .

عندما حط رحاله في دافنسى البيلوزية أن دعاه أخوه ، وقد كان سيسوستريس قد عهد إليه في أمر مصر ، إلى وليمة ودعاه معه أولاده ، ووضع حطباً حول البيت ، وبعد أن وضع الحطب أشعل فيه النار . فلما علم سيسوستريس بهذا الأمر شاور امرأته على الفور ، إذ أنه كان قد أحضر امرأته معه أيضاً . فأشارت هي عليه بأن يضع ولدين من أولاده الستة على النار فيكونا بمثابة قنطرة فوق الحطب المشتعل ، حتى ينجوا هم بالمرور فوقهما . وقد فعل سيسوستريس هذا ، واحترق اثنان من أبنائه على هذا النحو أما الباقون فقد نجوا مع أيهم^(١) .

١٠٨ - وبعد أن رجع سيسوستريس إلى مصر وتأثر من أخيه استخدم الجمع النفير الذي أحضره معه وكان قد أخضع بلادهم فيما يلي : فهم الذين جروا الحجارة التي نقلت في عهد هذا الملك إلى معبد هيفايستوس وقد كانت بالغة الحجم ، وهم الذين حفروا مسخرين جميع القنوات التي توجد الآن في مصر . وهكذا جعلوا - بنفير رضاهم - من مصر التي كانت من قبل بلاداً تقطعها الخيول والعجلات بلاداً خالية منها . فنذ ذلك الوقت أصبحت مصر كلها - بالرغم من أنها بلاداً مسطحة - خالية من الخيل والعجلات . والسبب في ذلك هي القنوات فهي كثيرة ذاهبة في جميع الجهات . ولقد شق هذا الملك الترع في البلاد لأن المصريين الذين كانوا

(١) ليس للقصة أساس من الصحة على التحقيق ، ولكن مصدرها على الأرجح هو صورة الفرعون المنتصر ، إذ كان يرسم وقد وطأ قدميه رجلين يمثلان أعداءه السوريين والنوبيين .

يقتنون مناطق لا تقع على النهر بل تقع في داخلية البلاد ، كانوا كلما انحسر النهر فأعوزتهم المياه يتعاطون ماء صالحاً بعض الشيء يستنبطونه من الآبار . لهذا السبب إذن سُقَّتْ الترع في مصر .

١٠٩ — وقال الكهنة أن هذا الملك قد قسم البلاد بين جميع المصريين فأعطى لكل فرد مساحة مربعة متساوية ، وأنه قد حصل على دخله من هذا المصدر لأنه أمرهم بأداء الضريبة سنوياً . فإذا أكل النهر جزءاً من المساحة المقررة لأحد الناس ، ذهب من فوره إلى الملك ، وبين له ما حدث ، وكان الملك يرسل رجالاً يمينون الأرض ، ويقيسون المقدار الذي نقص منها ، حتى يدفع من الضريبة المقررة ما يتكافأ مع الباقي من الأرض . ويخيل إلى أن هذا أصل اكتشاف علم المساحة ، وأنه انتقل من مصر إلى بلاد اليونان . أما الساعة الشمسية والمزولة وتقسيم النهار إلى اثني عشر سماً فأشياء تعلمها اليونانيون عن البابليين .

١١٠ — وهذا الملك هو الملك المصري الوحيد الذي حكم الحبشة وقد خلف تذكراً لمهده التماثيل الحجرية القائمة أمام معبد هيفيا يستوس . وهي مؤلفة من تماثيل لنفسه ولزوجه طول كل منهما ثلاثون ذراعاً^(١) ، وتماثيل لأبنائه الأربعة طول كل منها عشرون ذراعاً ولم يسمح كاهن هيفايستوس بعد ذلك بأمد طويل لدارا الفارسي أن يقيم تماثله أمامها محتجاً

(١) وجد تماثلان بهذا الوصف في معبد بناح في ميت رهينه ، طول أحدهما ١٣ متراً ولعل هذا هو التمثال الذي رآه هيرودوت وقرر أن طوله ثلاثون ذراعاً أي ١٥ متراً تقريباً .

بأن دارا لم يتم بأعمال جلييلة مثل ما قام به سيسوستريس المصرى . فع أن سيسوستريس قد قهر شعوباً لا تقل عما قهر داراً ، فإنه إلى جانب ذلك ، قد قهر الاسكيثيين فى حين أن دارا لم يستطع أن يقهرهم . فلم يكن إذن من العدل أن يقام تمثاله أمام تمثال سيسوستريس مع أنه لم يزه فى الأعمال وهم يقولون إن دارا قد أذعن لرأى الكاهن .

١١١ - ولما قضى سيسوستريس نجه ، خلقه على العرش فيما يقولون إينه فيروس^(١) وهذا لم يتم بحملة حربية واحدة ، وقد حدث أن أصيب بالعمى من جراء الحادثة التالية : جاء النهر فى ذلك الوقت بفيض أعظم مما جاء به من قبل حتى بلغ إرتفاعه ثمان عشرة ذراعاً ، ولما فاض النهر على الحقول ، هاج الرياح وماج النهر . حينئذ تناول الملك ، وقد تملكه السخط ، رمحاً وألقى به فى وسط تيارات النهر ، فأصيب بعد ذلك مباشرة بمرض فى عينيه وعمى ، وظل أعمى عشر سنوات . وفى السنة الحادية عشرة . جاءه الوحى من مدينة بوطو معلناً أن مدة عقوبته قد إنتهت ، وأنه سوف يبصر بعد أن يغسل عينيه ببول امرأة لم يكن لها قط إتصال برجل غير زوجها . جرب فيروس إمرأته أولاً ولكنه لم يبصر . وبعد ذلك جرب جميع النساء الواحدة بعد الأخرى ، وبعد أن أبصر جمع كل النساء اللاتى جربهن ، ما عدا تلك المرأة التى أبصر بعد الاغتسال ببولها ، فى مدينة واحدة وهى التى تسمى الآن « الطمى الأحمر » . وبعد أن ساقهن إلى المدينة أحرقهن جميعاً

(١) ليس ذلك إسماً وإنما هو فى أغلب الظن تحريف اللقب « فرعون »

والمدينة كذلك . أما المرأة التي أبصر بعد الاغتسال ببولها ، فقد اتخذها زوجاً لنفسه . ولقد أقام لخلاصه مما أصاب عينه نصباً في كل المعابد الشهيرة أحقها بالذكر السلطان الحجريتان الجديرتان بالمشاهدة ، اللذان أقامهما في معبد الشمس وقد أتخذت كل منهما من حجر واحد . وطول الواحدة مائة ذراع وعرضها ثمان أذرع .

١١٢ - وخلفه على العرش فيما قالوا رجل من منف اسمه في اللغة اليونانية پروتيوس^(١) وله في منف حرم بالغ الأناقة حسن الزينة ، قائم في جنوب معبد هيفايستوس . ويقم حول هذا الحرم فينيقيون من صور وتسمى هذه المنطقة كلها « معسكر الصوريين » .

ويوجد في حرم پروتيوس معبد يسمى معبد أفروديت المغتربة ، وإني أستنتج أن هذا المعبد كان معبد هيلين ابنة تينداروس وذلك لما سمعته من أن هيلين كانت تعيش مع پروتيوس ، ولأن المعبد يسمى معبد أفروديت المغتربة ، مع أنه من بين سائر معابد أفروديت لا يسمى معبد غير هذا معبد أفروديت المغتربة .

١١٣ - ولما سألت الكهنة أخبروني أن هذه هي قصة هيلين : قالوا إن الاسكندر^(٢) بعد أن خطف هيلين من إسبرطة ، كان يبحر البحر إلى

(١) ورد ذكر پروتيوس في هو ميروس باعتباره أحد آلهة البحر تابع عند الشاطيء المصري (الأوديسية ٤ : ٣٨٥ وما بعده)

(٢) هو الابن الثاني لبرطاموس ملك طروادة وزوجه هيكوبا ، ويعرف على الأكثر باسم باريس ، وقد خطف هيلين من إسبرطة وكان سبباً في أشغال نارالمحروب الطروادية ، (١١٩٢ - ١١٨٣ ق . م) .

بلده ، وحينما كان في بحر إيجه ، طوحت به رياح جارفة إلى البحر المصرى
وحيث أن الرياح لم تسكن فقد وصل إلى شاطئ مصر ، ومنه إلى ما يسمى
الآن بفرع النيل الكانوبى والملاحات . وكان يقوم فوق الشاطئ — ولا يزال
قائماً إلى الآن — معبد لهرقل إذا احتفى فيه عبد أى من الناس ، ووسم
نفسه بالعلامات المقدسة ، واهباً نفسه للإله ، لم يحل مسه لأحد . ولقد
ظلت هذه السنة نافذة كما هي منذ البدء إلى زمانى هذا . ولما علم خدم
الإسكندر بالسنة المتبعة في هذا المعبد ، تخلوا عنه ، وجثوا ضارعين ، وشكوا
الإسكندر للإله بنية إيذائه ورووا كل ما حدث من أمر هيلين والجرم
المقترف في حق مينيلابوس . وقدموا هذه الاتهامات إلى الكهنة وإلى حارس
الفرع وكان اسمه ثونيس^(١)

١١٤ — فلما سمع ثونيس بهذة الأنباء ، بعث بأسرع ما استطاع برسول
إلى پروتيوس في منف يقول « وصل رجل أجنبي تيوكرى الجنسى بعد أن
اقترب جرماً إذأ في بلاد اليونان ، ذلك أن الأجنبي اغتصب زوج مضيفه
نفسه وأخذها وجاء ومعه أموال جد طائلة . وقد طوحت به الرياح إلى
بلادك ، فهل ندعه يقلع سلباً معافى أم نجرده مما جاء به؟ » . ورد پروتيوس
على هذا السؤال برسالة يقول فيها « مهما يكن هذا الرجل الذى ارتكب ذلك
الجرم في حق مضيفه أقبضوا عليه وأرسلوه إلى حتى أرى ما عساه أن يقول »

(١) يقول ديودور الصقلى أن ثون أطلق اسمه على مدينة ثونيس وهي ميناء
تجارية على الفرع البركانوبى من النيل . ك . ١٠ : ١٩ .

١١٥ — فلما سمع ثونيس هذا قبض على الإسكندر وأمسك مراكبه ، ثم ساق الاسكندر وهيلين والأموال فضلا عن العبيد الضارعين كذلك إلى منف ، فلما مثلوا في حضرة پروتيوس ، سأل الاسكندر من يكون ومن أى مكان أقلع ، فسرده له الاسكندر نسبه ، وذكّر إسم وطنه ، وروى بالتفصيل رحلته من المكان الذى أقلع منه .

و بعد ذلك سأله پروتيوس من أين جاء بهيلين . فلما لم يلتزم جادة الصدق ولم يقل الحقيقة كذبه الذين كانوا يضرعون ورووا قصة جريته بحذافيرها وأخيراً أعلن لهم پروتيوس رأيه قائلاً « لو لم أكن أعلق أهمية كبيرة على ألا أقتل أحداً من الأجانب الذين تطوح بهم الرياح ويأتون إلى بلادى ، لأنزلت بك القصاص ثأراً لليونانى . فانك يا أدنا الرجال ، بعد أن تمتعت بحسن الضيافة إرتكبت عملا في غاية الشناعة والحطّة بأن تهجمت على زوج مضيفك نفسه ، هذا إلى أن ذلك لم يكفك بل أطرت لهما وهرت معها بعد أن سرقتها كاللص . ولم يكفك هذا كله بل أنك سطوت على بيت مضيفك قبل أن تعادره . والآن فحيت أننى أعلق أهمية كبيرة على عدم قتل الأجانب ، فلن أدعك تأخذ معك هذه المرأة والأموال ، بل سأحتفظ بها لمضيفك اليونانى إلى حين يشاء هو أن يأتى لاستردادها ، أما أنت ورفقاؤك فإنى أعلنكم بمغادرة بلادى إلى غيرها في ظرف ثلاثة أيام ، فإن لم تفعل ، فسأعاملك معاملة العدو » .

١١٦ — تلك إذن هى قصة وصول هيلين إلى پروتيوس فيما يقول

الكهنة ، وإني أعتقد أن هوميروس كان على علم بهذه الرواية أيضاً ، ولكن حيث أنها لم تكن مناسبة لشعر الملاحم مثل الرواية الأخرى التي أخذ بها ، فقد أهملها . ولقد أوضح أنه كان على علم بهذه الرواية أيضاً . هذا جلياً ، ذلك بأنه جعل طواف الاسكندر في الإلياذة تبعاً لهذه الرواية (وهو لم يراجع نفسه فيما ذهب إليه في أى موضع آخر) إذ قال إن الإسكندر بعد أن سحب هيلين جيد به عن طريقه ، وبعد أن هام على وجهه في غير طريقه المرسومة وصل آخر الأمر إلى صيدا في فينيقية . وهو يذكره في قصة « بسالة ديوميديس ^(١) » حيث تقول الآيات :

« وكانت هناك الأنواب المتنوعة التطريز ، صنع عقائل صيدا »
 « اللأئي ساقهن الإسكندر ، شبيه الإله نفسه ، من صيدا ما خراً »
 « البحر القسيح . وسالكاً نفس السبيل التي ساق فيها هيلين »
 « الكريمة المختد »

وذكرها أيضاً في الأوديسية في الآيات التالية : ^(٢)

« وكان لابنة زيوس عقاقير ماهرة التحضير مفيدة أهدتها لها »
 « پوليدامنا زوج ثون المضرية فالحقول الخصبية تنتج عقاقير كثيرة »
 « كثير منها مفيد إذا خلط ، وكثير منها مضر »

(١) هذا هو عنوان الكتاب الخامس من الإلياذة . والسطور المتنبئة من الكتاب السادس ٢٨٩ - ٢٩٢ ، ولكن تهتم الإلياذة إلى كتب يرجع إلى زينودوتوس في القرن الثالث ق . م .

(٢) الآيات من الأوديسية الكتاب الرابع ٢٢٧ - ٢٣٠

وفي البيتين التاليين أيضاً يخاطب مينيلوس تليماخوس قائلاً :
 « وفي مصر أمسكتني الآلهة، ولو أنتى كنت شديد الشوق إلى الرجوع
 إلى هنا لأننى لم أضح لها بمائة ثور كاملة (١) »

يبين هوميروس في تلك الأبيات أنه كان على علم تام برحلة الإسكندر
 إلى مصر، لأن سوريا تقع على حدود مصر، ولأن القينيقين وصيدا من
 بلدانهم، يقطنون سوريا.

١١٧ — يتضح من هذه الأبيات وعلى الخصوص الأخيرة أن «الملحمة
 القبرصية» (٢) ليست لهوميروس بل لشاعر آخر. فقد جاء في القصيدة
 القبرصية أن الإسكندر وصل إلى طروادة في اليوم الثالث من رحيله من
 إسبرطه مع هيلين، إذ صادف ربحاً مواتياً وبعراً هادئاً. هذا في حين أنه
 يقول في الإلياذة أنه هام معها على وجهه. والآن فالوداع لهوميروس
 والملحمة القبرصية.

١١٨ — ولما سألت الكهنة عما إذا كانت الرواية التي يقصها اليونانيون
 عن طروادة لا طائل تحتها أم لا، أجابوا — مؤكدين أنهم استقوا معلوماتهم
 من استوضح مينيلوس ذاته — قائلين إنه بعد سرقة هيلين، ذهبت إلى أرض
 تيوكريس قوة كبيرة مؤيدة لمينيلوس، وبعد أن وصل الجيش إلى البر
 وعسكر في معسكراته، أرسلوا إلى طروادة سفراء وكان بينهم مينيلوس نفسه.

(١) الأوديسية الكتاب الرابع ٣٥١—٣٥٢

(٢) كانت الملحمة القبرصية مؤلفة من سبعة كتب. ولم يبق منها إلا مقطوعات
 قليلة. وهي تنسب أحياناً إلى الشاعر ستاسيموس القبرصي الذي عاش حوالي
 سنة ٧٠٠ ق.م.

ولما نفذ هؤلاء داخل أسوار المدينة طالبوا بهيلين والأموال التي كان الإسكندر قد سرقها قبل رحيله ، وطلبوا بتعويض عما لحقهم من أضرار. أما أهل تيوكريس فقد قالوا إن لا هيلين ولا الأموال المطلوبة في حوزتهم ، بل أنها كلها في مصر ، وأنه ليس من العدل أن يؤديوا هم تعويضاً عن أشياء في حوزة پروتيوس الملك المصري . وأصروا على هذا القول عينه في ذلك الحين وفيما بعد وأطلقوه مؤيداً بقسم وبغير قسم . وتخيل اليونانيون أنهم يفررون بهم وهكذا حاصروا المدينة إلى أن إغتصبوها. ولما استولوا على أسوار المدينة ولم تظهر هيلين بل جوبهوا بنفس القصة التي قيلت لهم من قبل ، تأكدوا من صحة القصة السابقة وأوفدوا مينيلوس ذاته إلى پروتيوس .

١١٩ - وعند ما بلغ مينيلوس مصر وأبحر إلى منف ذكر حقيقة الأمر ، ولأقى إكراماً بالغا ، واستلم هيلين دون أن يمسهما ضرراً فضلاً عن كل أموالهما . وبالرغم مما لاقاه مينيلوس في مصر من حسن الضيافة فقد كان ظالماً للمصريين . ذلك أنه كان شديد الرغبة في السفر فعاقه نوء شديد . ودام النوء وقتاً طويلاً ، فدبر أمراً حراماً . ذلك أنه أخذ ولدين لرجلين من أهل البلاد وجعلهما ضحية إسترضاء . ولما ظهر أنه إرتكب ذلك الأمر ، كرهه المصريون وطاردوه ، فاستقل مركباً وهرب على عجل إلى ليبيا . ولم يكن في وسع المصريين أن يقرروا إلى أين اتجه بعد ترك ليبيا . وقد قالوا إنهم عرفوا بعض هذه الحقائق بالبحث ، وأنهم يتحدثون في البعض الآخر عن علم يقين لأنها وقعت في بلادهم .

١٢٠ - هذا إذن مارواه كهنة المصريين ، وإني شخصياً أوافق على روايتهم فيما يتعلق بهيلين للاعتبار التالى : لو أن هيلين كانت فى طروادة لُرُدَّتْ إلى اليونانيين رضى الإسكندر أو لم يرض. فمن المؤكد أنه لا برياموس ولا الآخرون من أقاربه كانوا معتوهين إلى حدٍّ أن يرضوا بالمجازفة بحياتهم وحياة أبنائهم ليعاشر الإسكندر هيلين . وإذا سلمنا بأنهم رضوا بذلك فى المراحل الأولى من الحرب ، فإنه حينما كان يُقتل الكثيرون من سائر الطرواديين كما التحموا باليونانيين ، وحينما كان يموت فى كل مرة تقع فيها الموقعة ، إثنان أو ثلاثة أو أكثر من ابناء برياموس (إن جاز لأحد أن يلقى القول اعتماداً على شعراء الملاحم) فإنى أعتقد شخصياً أن برياموس كان فى مثل هذه الظروف يرد هيلين إلى الأخائين إن كان يستطيع بذلك أن يتخلص من متاعبه الملائمة . حتى إذا كان هو نفسه يعاشر هيلين . لا ، ولم يكن ذلك لأن الملكة ستثول إلى الإسكندر وكانت مقاليد الأمور فى يديه لأن برياموس كان قد صار شيئاً ، فإن هيكتور كان أكبر من الإسكندر ، وكان رجلاً أفضل منه ، وكان على وشك تولى الملك بعد برياموس . ولم يكن ينبغى لهكتور أن يجبذ أخاه فى خطاه خصوصاً وأن مصائب فادحة قد اتتبت هيكتور شخصياً ، وسائر الطرواديين عامة ، من جرائه .

ولكن الواقع أن هيلين لم تكن عندهم ليردوها ، ولا صدقهم اليونانيون حينما قالوا لهم الحقيقة ولقد كان ذلك ، وإني هنا أبدى رأى الخاص ، من

تدبير الإله حتى يهلكوا هلاكاً ذريعاً فيُظهروا لكافة الناس بذلك أنه إذا كانت الجرائم كبيرة كانت العقوبات التي تنزلها الآلهة كبيرة كذلك .

١٢١ - أورث بروتوس الملكة - فيما قال الكهنة لرامسينيتوس^(١)

الذي خلف تذكاراً لعهد بوابة معبد هيفايستوس التي تتجه نحو الغرب ،
والتماثيل اللذان أقامهما أمام هذه البوابة ، وطول كل منهما خمس وعشرون
ذراعاً . ويسمى المصريون التمثال القائم ناحية الشمال «الضيف» ، والتمثال
القائم ناحية الجنوب الشتاء . أما التمثال المسمى الصيف فيكرمونه ويجلونه ،
أما التمثال المسمى «الشتاء» فيعاملونه بالعكس . ويقال إنه قد تجمعت لهذا
الملك ثروة طائلة من المال ، ولم يستطع واحد من خلفوه على الملك فيما بعد
أن يبرزه أو أن يداينه في ذلك . ولما كان حريصاً على كثر هذه الأموال
في أمان فقد ابنتى خزانة من الحجر تمتد إحدى حوائطها إلى الجدار
الخارجي للسراى . ولكن البناء لجأ إلى الحيلة الآتية ، لغرض خيبت في
نفسه . فقد هيا الحجارة بحيث كان يمكن لرجلين أو حتى لرجل واحد أن
ينزع أحداها بسهولة من الحائط . ولما كملت الخزانة ، كثر الملك أمواله فيها ،
وبعد انقضاء ربح من الزمن ، وكان البناء قد قارب نهاية الحياة ، استدعى
أولاده ، فقد كان له ولدان ، وشرح لهما بإيضاح طريقة نزع الحجر بأكلها ،
وأعطى لهما أبعاده ، وقال لهما أنهما إذا احتفظا بالأمر سراً ، فسيصبحان
الأمينين على خزائن الملك . ولما انتهت حياة الأب ، لم ينتظر إبناه طويلاً

(١) هو فيما يظهر رمسيس الثالث (١١٩٨ - ١١٦٧ ق . م) من الأسرة الثانية
والعشرين ، وقد اشتهر بضخامة ثروته .

قبل أن يبدأ في العمل ، وذهبا إلى السراى ليلا ، فوجدا الحجر بسهولة في الجدار ، فنزعا وحملوا قدراً كبيراً من الأموال . واتفق أن فتح الملك الخزانة ، فدهش عند ما رأى حوافظ الأموال متضائلة ، ولكنه لم يستطع أن يوجه اللوم إلى أحد ، لأن الأختام كانت في مواضعها والخزانة مغلقة . ولما فتح الخزانة مرة ثانية وثالثة ظهر له أن الأموال كانت في كل مرة أقل مما كانت في المرة السابقة ، ذلك أن اللصين لم يتراخيا في السرقة . فلجأ الملك إلى حيلة بأن أمر بصنع شرك ووضعا بجانب الجرار التي وضعت فيها الأموال . وذهب اللصان إلى الخزانة كما اعتادا في الزمن السابق . ولما دخل أحدهما الخزانة ، وقرب من الجرار وقع من توه في إحدى الشرك . وأدرك في أية حالة من البؤس هو . فدعا أخاه على الفور وأطلعه على ما حدث له ، وأمره أن يدخل بأقصى سرعة ويقطع رأسه ، لئلا تعرف شخصيته حينما يوجد ، فيكون في ذلك القضاء على الثاني أيضاً . ورأى الثاني أن هذا الاقتراح حسن ، فاقتنع وأخذ به . وأعاد الحجر إلى مكانه ورجع إلى بيته حاملاً رأس أخيه . فلما طلع النهار ، دخل الملك الخزانة ، ودهش عند ما رأى جثة اللص في الشرك دون رأس ، مع أن الفرغ كانت سليمة وليس فيها أثر دخول أو خروج البتة . ولجأ الملك في حيرته إلى الحيلة الآتية : علّق جثة اللص من فوق الحائط ، وأمر الحراس الذين وكل اليهم أمر حراسها أن يقبضوا على من يرونه باكياً أو نادياً . ولما علقت الجثة حزنت الأم حزناً شديداً وسأقت الحديث إلى ابنها الباقي ، وأوصته بأن يمتثال بأى

وسيلة استطاع حتى يفك جثة أخيه وينقلها . وأندرتة إن هو أهمل وصيتها أن تذهب إلى الملك ، وتخبره بأن الأموال في حوزته . واستمرت الأم في مرُّ تأنيها لإبنها الباقي ، ووجه إليها هذا كلاماً كثيراً فلم يستطع إقناعها . فلجأ إلى الحيلة الآتية : جهز حميراً وزقاقاً ملاًها بالنيذ ، ووضعها على ظهور الحمير وساقها . ولما واجه المكان الذي فيه الحراس الذين يحرسون الجثة المعلقة شد الزقاق إليه ، وفك إثنين أو ثلاث من رقاب الزقاق المربوطة ، ولما بدأ النيذ يسيل أخذ يضرب رأسه ويصيح عالياً ، كأنه لا يدرى إلى أى الحمير ينصرف أولاً . ولما رأى الحراس النيذ يسيل مدراراً ، جروا جميعاً إلى الطريق حاملين أواني وملؤها من النيذ المتدفق حاسبين الحر غناً . أما هو فتصنع الغضب وسبهم أجمعين . ولما جعل الحراس يواسونه ، تصنع كأنه قد هدىء بعد حين وأن غضبته قد خمدت . وأخيراً ساق الحمير من الطريق ، وجعل يصلح من شأنها . وجرى بينهم سمر طويل ، ومزح معه الحراس حتى أنهم دفعوه إلى الضحك ، فأعطاهم إحدى الزقاق . وعقد الحراس النية على الجلوس . والشرب دون احتفال واستضافته . فطلبوا إليه أن يبقى معهم ويشاركهم في الشرب . فوافق هو بالطبع وبقى وبينما هم يشربون حبهو يبشر فأعطاهم واحدة أخرى من الزقاق أيضاً . وبعد أن تعاطى الحراس خمرأ كثيراً ، صرعهم السكر ، وغلبهم النوم ، فاناموا حيث كانوا يشربون . أما هو ، فلما تقدم الليل ، فك جثة أخيه ، وحلق الجانب الأيمن من ذقون جميع الحراس على سبيل السخرية ، ووضع الجثة على ظهور

الحخير وساقها إلى منزله ، وقد أدى ما أوصت به أمه .
وقد اغتاط الملك غيظاً عظيماً حينما حمل اليه النبأ بأن جثة اللص قد
سُرقت ، وأراد أن يقع قبل كل شيء على الرجل الذي دُبر ذلك . فلجأ
إلى الحيلة الآتية فيما يقولون ، ولو أنني لا أصدقها . وضع إبنته في ماخور
وأمرها بأن تستقبل كل من يأتيها على السواء ، وأن تجعل كل واحد يقص
عليها أدهى وأخبث ما صنع في حياته . فإذا روى لها أحد ما حدث في
أمر اللص تمسك به ولا تدعه يفلت . ولما نفذت الابنة ما صدر عن أيها
من أوامر ، تصرف اللص على النحو التالي فقد كان يعلم الأغراض التي
صنع الملك ذلك من أجلها ، وكان يريد أن ييز الملك في المكر : قطع ذراع
جثة حديثة الموت من الكتف ، وذهب إليها حاملاً إياها تحت رداءه . ولما
دخل على ابنة الملك وجهت اليه السؤال الذي توجهه إلى الآخرين ، فقال
لها إن أخبث ما صنع هو قطع رأس أخيه عند ما وقع في شرك في خزانة
الملك . أما أدهى أعماله فإسكار الحراس وفك جثة أخيه المعلقة . فلما سمعت
البنات ذلك حاولت أن تمسك به فمد لها اللص في الظلام ذراع الجثة ،
فأمسكت بها وأطبقت عليها معتقدة أنها قابضة على ذراعه هو . أما اللص
فترك لها الذراع وخرج من الباب هارباً . فلما حملت هذه الأنباء كذلك
إلى الملك ، تولاه العجب لدهاء هذا الرجل وجراته ، وأخيراً أرسل إلى
كافة المدن معلناً أنه اذا جاء الرجل الى حضرة الملك فإنه يؤمنه على حياته
ويعده بوعود كثيرة . فوثق به اللص ، وذهب اليه ، فأعجب به راميسينيتوس

كثيراً ، وزوجه من ابنته هذه ذاتها باعتباره أكثر الناس دهاء . وقال إن المصريين يفوقون سائر الشعوب في الدهاء ، وهذا الرجل يفوق جميع المصريين^(١)

١٢٢ - ويقول المصريون إن هذا الملك هبط بعد ذلك إلى المكان الذى يعتقد المصريون أنه العالم السفلى ، وهناك لعب النرد مع ديميتير ، وظلها أحياناً وأحياناً غلبته ، وأنه رجع ثانية حاملاً منديلاً مذهباً هدية منها . ويرجع إلى هبوط رامسينيتوس وصعوده ثانية إحياء المصريين - فيما يقولون - لميدى لايزالون يحيونه فيما أعرف شخصياً إلى زمانى هذا ، ولو أننى لا أستطيع على أية حال أن أجزم بأنهم بدأوا بإحيائه من أجل هذه الحادثة . ففى اليوم المعين للميدى يفرغ الكهنة من نسج ثوب ، ثم يعصبون عينى أحدهم بمصابة ، ويسوقونه وقد ارتدى الثوب إلى الطريق المؤدية إلى معبد ديميتير، ثم يعودون أدراجهم على الفور . أما ذلك الكاهن فيقوده فيما يقولون ذئبان إلى معبد ديميتير الذى يبعد عن المدينة بمقدار عشرين ستاداً . ثم يقوده الذئبان^(٢) راجعين على الفور إلى البقعة عينها .

١٢٣ - وللمرء أن يأخذ بأقوال المصريين هذه إذا صدق أمثال هذه الروايات أما أنا فديدننى فى كل هذا التاريخ أن أسجل ما أسمع من أقوال

(١) القصة مصرية قديمة استهوت الشعب وعاشت فى خياله محفظة يطالبها المصرى القديم ، ولم يتردد ماسيرو فى ضمها إلى مجموعة الأدب الشعبى المصرى القديم .
(٢) يرى ابن آوى على الآثار المصرية وهو يمثل أنوبيس الذى يقود الموتى .

من آيه جماعة . فالمصريون يقولون إن ديميتير وديونيسوس يحكما العالم السفلي، هذا إلى أن المصريين هم أول من قال بمقيدة أن روح الإنسان خالدة ونها تنتقل دائما متى هلك الجسم ، إلى كائن آخر ، وعندما تذهب بالتتابع إلى جميع المخلوقات على الأرض وفي الماء وفي الهواء ، ترجع من جديد إلى جسم الانسان حين ميلاده ، ويقولون إن دورة الروح تتم في ثلاثة آلاف عام^(١) . ولقد أخذ كتاب من اليونانيين بهذا المذهب ، بعضهم متقدم وبعضهم متأخر ، ونادوا بهذا المذهب كأنه مذهبههم ، وإني مع معرفتي بأسمائهم لا أسميهم .

١٢٤ - ويقولون إنه إلى عهد الملك رامسيسينيتوس كانت في مصر حكومة صالحة من جميع الوجوه ، وكانت مصر مزدهرة ازدهاراً عظيماً . وبعده صار كيوبس^(٢) ملكا عليهم ، ودفع بهم إلى جميع أنواع الموبقات ، ذلك أنه أغلق جميع المعابد ومنع المصريين من التضحية أولاً ، وبعد ذلك أمر جميع المصريين بالعمل من أجله ، فأمر بعضهم ببحر الحجارة من الحجارة الواقعة في الجبال العربية إلى النيل ، وعهد إلى غيرهم ، بعد نقلها عبر النهر بالمراكب ، باستلامها ونقلها إلى تلك الجهة التي تدعى الهضبة الليبية . وكانوا يعملون بغير انتطاع في جماعات مؤلفة ١٠٠٠٠ رجل ، تعمل كل منها ثلاثة أشهر . أما عن الوقت فقد إستلزم إقامة الطريق الذي جروا عليه

(١) تتاسخ الأرواح من المعتمدات الشعبية التي لم تجد طريقها الى النصوص المقدسة
 (٢) هو خوفو من فراعنة الأسرة الرابعة (٢٧٠٠ ق . م) هريا وهو باني الهرم الأكبر .

الأحجار، عشر سنوات من الضغط على الشعب.. وهو عمل لا يقل كثيراً فيما يبدو لى عن بناء الأهرام، فإن طول هذا الطريق خمسة ستاد، وعرضه عشره أبواع، وعلوه فى أقصى إرتفاعه ثمانية أبواع، وهو مبنى من حجارة مصقولة منقوش فيها صورحيوانات. وقد صرف فى بناء هذا الطريق والغرف التى تحت الأرض فى التل الذى يقوم عليه الأهرام عشر سنوات، وهذه الغرف التى تحت الأرض، وقد جعلها مقابر لنفسه فى جزيرة ساق إليها ماء النيل بوساطة قناة. وانقضى من الوقت فى بناء الهرم نفسه عشرون سنة. وهو مربع طول كل ضلع من أضلاعه ثمانية بليثرا وإرتفاعه مثل ذلك، وهو مبنى من حجر مصقول ملصق ببعضه ببعض بدقة فائقة، وليس فيه حجر واحد يقل طوله عن ثلاثين قدماً.

١٢٥ - وهذه هى طريقة بناء الهرم: بنى أولاً بشكل سلام ويسمىها البعض درجات والبعض الآخر هياكل، وبعد أن بنوها على هذا النحو بادىء ذى بدء رفعوا الأحجار الأخرى بواسطة آلات من ألواح خشبية قصيرة، فهم يرفعون الأحجار من الأرض إلى الطبقة الأولى من الدرجات، وبعد أن يرفع الحجر إلى هذه الطبقة يوضع على آلة أخرى قائمة على الطبقة الأولى، ومنها يرفع إلى الطبقة الثانية ومنها يوضع فى آلة ثالثة. فقد كان هناك آلات بمدد الدرجات، أو لعلها كانت آلة واحدة، صنعت بحيث يسهل نقلها، فكانوا ينقلونها من طبقة إلى أخرى كلما فرغوا من نقل الحجرة فى طبقة بعد طبقة. ومن الواجب على أن أثبت الروايتين لأن

المصريين يقولون بالروايتين كلتيهما . وقد أكلوا أولاً الجزء الذى فى القمة ثم بعد ذلك أكلوا الأجزاء التالية وأخيراً انتهوا من الأجزاء السفلى القريبة من الأرض . ويوجد على الهرم نقش بالحروف المصرية يذكر كم من المال صرف على الفجل والبصل والثوم للعمال، وإذا لم تخشى الذاكرة فيما قاله الترجان عندما كان يقرأ النقش ، فإن المبلغ الذى صرف فى ذلك كان ١٦٠٠ طالط من الفضة . فإذا كان الأمر كذلك فكأن كانت النفقات التى بذلت بالإضافة إلى هذا على الآلات الحديدية التى إشتغلوا بها ، وعلى ما أكل العمال وملبسهم ، إذا كان الوقت الذى قضوه فى العمل كان كما ذكرت فى موضع آخر ، وأنهم صرفوا وقتاً غير قليل ، فيما يخيل إلى ، فى قلع الأحجار ونقلها وفى حفر القناة الجوفية (١) ؟

١٢٦ - وقد إنحدر كيوس فيما يقولون إلى درك سحيق من الانحطاط ، حتى أنه عندما أعوزه المال ، وضع إبنته فى ماخور وأمرها أن تتقاضى مبلغاً معيناً ، لم يقولوا إلى كم . وفضلا عن تقاضيا ما أراد أبوها فقد عقدت نيتها على ترك نصب خاص بها . ولذلك فقد كانت تطلب من كل رجل يزورها أن يهدى إليها حجراً ليستخدم فى هذا النصب ، وقد بُنى من هذه الأحجار الهرم الذى يقع فى منتصف الثلاثة وهو أمام الهرم الأكبر ويبلغ طول كل ضلع من أضلاعه مائة وخمسون قدماً .

١٢٧ - وحكم كيوس فيما يقول المصريون خمسين عاماً ، وبموته تولى

الملك أخوه خفرع ، واتهيج هذا نهج أخيه في جميع الأمور وفي إقامة هرم ، ولكن هرمه لا يبلغ حجم هرم أخيه . وإنا نعلم ذلك لأننا قسنا الهرمين جميعاً . هذا إلى أنه لا يشمل على غرف تحت الأرض ، ولا تتصل به قناة من النيل مثل التي تتصل بالهرم الأكبر . ففي هذا الهرم الآخر تسير القناة في مجرى ذى جوانب مرصوفة ، وتحيط بجيزة يرقد فيها فيما يقولون كيوبس وقد بنى الطبقة الأولى التي تكون الأساس من حجر حبشى ملون . ومع أن هذا الهرم يقل بمقدار أربعين قدماً عن الهرم الآخر في الارتفاع ، فقد ابتناه على مثل ضخامة الهرم الأكبر عينها وبالقرب منه . ويقع كلاهما في تل واحد إرتفاعه مائة قدم تقريباً ، وحكم خفرع فيما قالوا ستاً وخمسين سنة .

١٢٨ - وهم يعدون هذه السنوات السبت والمائة فترة كان فيها المصريون في غاية من البؤس . فقد كانت المعابد مغلقة أثناء تلك الفترة ، ولم تفتح فيها أبداً . ولا يحب المصريون أن يذكروا إسمي هذين الحاكمين على الإطلاق لكرههم لهما ، بل إنهم يدعون هرميهما بأسم الراعى فيليتيوس^(١) الذى كان يرعى الأغنام في تلك الأنحاء في وقت بنائهما .

١٢٩ - وبعد هذا الملك تولى حكم مصر فيما يقولون منقرع بن كيوبس ولم يوافق هذا على أعمال أبيه ، وفتح المعابد ، وترك الناس وقد أرهقوا إلى حضيض البؤس يؤوبون إلى أعمالهم وتضحياتهم ، وأصدر

(١) لعل في ذكر فيليتيوس الراعى صدى بعيد لحكم الهيكوس - الملوك الرعاة - والإسم يشير من بعيد إلى فلسطين وقد كان الفلسطينيون بعضاً من الفزاة .

أحكاماً كانت أعدل من أحكام سائر الملوك ، وهم من أجل ذلك يمدحونه بوجه خاص أكثر من جميع الملوك الذين حكموا مصر . فضلاً عن إصدار أحكام عادله فقد عوض من ماله الخاص حقاً كل من لم يرض عن أحكامه وهكذا هدأ سخطهم . وفيما هو رحيم برعيته ودائب على عمل الخير ، بدأت مصائبه أولاً بموت إبنته . وهى الإبنة الوحيدة التى كانت له فى القصر . فكان حزنه شديداً للرزء الذى أصابه ، وأراد أن يدفن ابنته بطريقة خارقة للمألوف ، فأمر بصنع بقرة من الخشب جوفاء ، ثم ذهبها ودفن فى داخلها إبنته المتوفاه .

١٣٠ — ولم تغيّب هذه البقرة فى الأرض ، بل إنهما إلى يومنا هذا بادية للعيان ، موضوعة فى مدينة سايس فى غرفة مزينة فى القصر الملكى . وهم يحرقون لها البخور فى كل يوم من جميع الأنواع طوال النهار ، ويقدون لها مصباحاً طوال الليل . وتوجد بالقرب من البقرة ، فى غرفة أخرى تماثيل لسرايا منقرع ، فيما يقول كهنة مدينة سايس ، فهناك تماثيل ضخمة من الخشب تبلغ العشرين عدداً تقريباً ، وهى مصنوعة على هيئة نساء عرايا ، وإنى لا أستطيع أن أقطع فيمن عسى أن يكن هؤلاء ، إلا بما قيل لى .

١٣١ — يروى البعض هذه القصة التالية فى البقرة والتماثيل الضخمة :

تعلق منقرع بحب إبنته واعتصبها ، فخنقت الأبنة نفسها بعد ذلك كدأ ، فدقنها الملك داخل هذه البقرة ، أما الأم فقد قطعت أيدى الوصيفات اللأئى وضعن البنت بين يدي أيتها ، وعلى هذا فالتماثيل مشوهة كما كانت الوصيفات

أنفسهن مشوهات في الحياة . ولكنى أعتقد أن هذه القصة لا طائل تحتها خصوصاً فيما يتعلق بأيدي التماثيل، فإن الأيدي قد تهاوت بفعل الزمان كما رأينا بأنفسنا، فهي ترى ملقاة على الأرض تحت أقدام التماثيل حتى إلى يومنا هذا .

١٣٢ - وجسم البقرة كله مغطى بكساء أحمر فيما عدا الرقبة والرأس فهي مكسية بطبقة سميكة جداً من الذهب، ويوضع فيها بين القرنين قرص الشمس مصوراً بالذهب . والبقرة ليست قائمة بل جائمة على ركبها، وهي في حجم بقرة ضخمة حية . وتخرج البقرة مرة في السنة وذلك عند ما يجد المصريون على الإله^(١) الذى لا أسميه في هذا الصدد، ففي هذه المناسبة تنقل البقرة إلى ضوء النهار . فهم يقولون إن البنات عند موتها التمس من أبيها أن ترى الشمس مرة واحدة في السنة .

١٣٣ - وبعد موت إبنته، أصابت ذلك الملك فيما يقول الكهنة مصيبة ثانية على النحو التالى : جاءه الوحي من مدينة بوطومنبناً بأنه سوف يعيش ستة سنين فقط ويموت في السنة السابعة . غضب الملك لذلك، وأرسل إلى الوحي يرد عاتباً على الإله أن أباه وعمه اللذان أغلقا المعابد ولم يذكرا الآلهة، بل أهلكا الناس، قد عاشا زمناً طويلاً وهو التقي يوشك أن يموت بهذه السرعة . وجاءه الرد ثانية من الوحي قائلاً إن حياته قد اقتضيت لهذه الاعتبارات، ذلك بأنه لم ينفذ ما وجب عليه تنفيذه، فقد كان

(١) يعنى أوزيريس، راجع (٦١)، (٨٦)

قد قضى على مصر أن تشقى مدة مائة وخمسين عاماً ، ولقد فهم الملكان
الاذان حكماً مصر قبله ذلك القضاء ، ولم يدركه هو . لما سمع منقرع هذا
الرد أدرك أن مصيره قد تقرر ، فأمر بصنع مصابيح كثيرة ، وكان يشعلها كلما
جن الليل ، ويشرب ويمجن لا يتوقف نهائياً أو ليلاً . وسافر إلى المستنقعات
والغابات وإلى حيثما بلغه أنه يوجد مسارح لهو مستحبة . أراد بهذا التصرف
أن يظهر أن الوحي كاذب ، وكان هدفه أن تصبح السنوات الست ، وقد
إتقلب الليل نهائياً ، اثنتي عشرة سنة .

١٣٤ - وترك هو الآخر هرمًا ، ولكنه يقل كثيراً عن هرم أبيه .
وهو مربع القاعدة ينقص عنه كل ضلع بمقدار عشرين قدماً في كل ثلثائة قدم
وهو إلى نصفه من الحجر الجبشى . ويذهب بعض اليونانيين إلى أنه أقيم
للغانية رودويس وهم في ذلك مخطئون ، بل إنهم كما اتضح لى ، يقولون
هذا وهم لا يعرفون من عساها أن تكون رودويس هذه ، فلوعرفوها ما نسبوا
مثل هذا الهرم إليها ، فقد أنفق عليه ما لا يحصى من آلاف الطالنت كما
تقول . وفضلاً عن هذا فإن رودويس قد ازدهرت في عهد الملك أمازيس
وليس في عهد منقرع . وإذن فقد عاشت رودويس بعد هؤلاء الملوك الذين
خلفوا هذه الأهرام بسنين عدداً . وكان أصلها من تراقيا ، وكانت سرية
لايدامون بن هيفايستو پوليس وهو من جزيرة ساموس وكانت زميلة في
الرق لأيسوپوس^(١) القاص . أما أن أيسوپوس كان عبداً لايدامون فيتضح

(١) قاص أو راوية للقصص ، عاش في القرن السادس قبل الميلاد ، ولكن كثيراً من
القصص المنسوبة إليه كانت مزروعة قبله ، وهو لم يدون قصصه شأنه في ذلك شأن سقراط .

جلياً وبوجه خاص من الحادثة الآتية : لما كرر سدنة دلفي ، بأمر من الرسمى ، النداء بأن من يريد أن يأخذ دية أيسوبوس فليقدم ، لم يتقدم أحد آخر غير إيدامون آخر هو حفيد الأول . وعلى هذا كان أيسوبوس هو الآخر ملكاً لإيدامون .

١٣٥ - ولقد جاءت رودويس إلى مصر مصحوبة بكارثيوس من أهل ساموس ، جاءت لمباشرة حرقها ، وأعتقها خرا كسوس المثليني بمبلغ كبير من المال ، وهو ابن سكماندرونيوموس وأخو الشاعرة سافو^(١) وهكذا صارت رودويس امرأة حرة . وبقيت في مصر حيث جمعت ، لكونها شديدة الفتنة ، ثروة كبيرة بالنسبة لامرأة مثل رودويس ولكنها ليست كبيرة إلى حد أن تكفي لتشييد هرم كهذا . ولا يزال من الميسور لكل من يريد أن يتحقق من ثروتها أن يرى إلى يومنا هذا عشر هذه الثروة ، فلا ينبغي أن نعزوها ثروة كبيرة . فقد أرادت رودويس أن تترك في بلاد اليونان تذكاراً لها ، فأمرت بصنع شيء لم يتفق لغيرها أن يقع على مثله أو يهديه للعبد ، ووضعت في دلفي تذكاراً لها . نعم أمرت بأن يصنع بعشر ثروتها سفافيد من حديد من التي تستخدم في شئ البقر ، وجعلتها كثيرة بقدر ما يفي عشر الثروة ، وأرسلتها إلى دلفي . ولا تزال هذه السفافيد إلى الآن مكوّمة هناك ، وراء الهيكل الذي أهدها الخليون ، وأمام الحراب ذاته . ولأمر ما تبدو غوانى نوقراطيس عادة في غاية الفتنة . فالأمر لا يقتصر على

(١) شاعرة لسبوس الصهبيرة عاشت حوالى سنة ٦٠٠ ق . م

تلك المرأة الذي كان كلامنا دائراً عليها وحدها ، والتي اشتهرت إلى حد أن كل اليونانيين كانوا يعرفون اسم رودوبيس ، بل إنه في عصر متأخر كانت هناك غانية أخرى إسمها أرخيدىكى اشتهرت في طول بلاد اليونان وعرضها بأغانيها ، ولو أن إسمها كان أقل دوراناً على الألسنة من الأخرى . ولما أعتق خرا كوس رودوبيس ورجع إلى ميتيليني ، سخرت منه سافو كثيراً في أشعارها . ولتقف عند هذا الحد فيما يتعلق برودوبيس .

١٣٦ - وبعد منقرع أصبح أسوخيس^(١) فيما يقول البكهنة ملكا على مصر ، وهو الذي شيد المدخل الشرقى لمعبد هيفايستوس ، وهو أبهى المداخل وأضخمها بكثير . فمع أن كل المداخل فيها أشكال محفورة وآلاف الصور ومناظر زخرفية أخرى لا تحصى ، فإن هذا المدخل أبهاها ببعيد . ويقولون إنه في عهد ذلك الملك قل تداول النقد قلة شديدة ، فصدر في مصر قانون يخول للرجل أن يستدين بوضع جثة أبيه رهناً ، وهكذا يستلم المبلغ . وأضيفت إلى هذا القانون مادة تخول الدائن سلطة مطلقة على مقبرة المدين كلها ، فإذا لم يشأ المدين الذي قدم ذلك الرهن أن يني بالدين ، كانت عقوبته ألا يدفن عند موته ، ولا أن يدفن أى فرد آخر من أفراد عائلته ، لا في مقبرة أهله ولا في أى مقبرة أخرى . وأراد ذلك الملك أن يميز من سبقوه من ملوك مصر فترك هراً من اللبن ، وعليه نقش

(١) المرجح أنه الملك شب - سيس - كاف وهو آخر ملوك الأسرة الرابعة .
عاش حوال سنة ٢٦٠٠ ق م .

محفور في الحجر يقول « لا تحترقني بالقياس إلى الأهرام الحجرية ، فإني أفضلها كما يفضل زيوس سائر الآلهة ، فقد ألقى الناس في البحيرة مسباراً ، فتعلق بعض الطين بالمسبار ، جمع الناس هذا الطين وصنعوا منه لبنات ، وبهذه الطريقة شيدوني » تلك هي الأعمال التي قام بها هذا الملك .

١٣٧ - وبعد ذلك الملك تولى الملك رجل أعشى من مدينة أنيسيس ، واسمه أنيسيس ، وفي عهد هذا الملك غزا سباكو^(١) ملك الأحباش مصر بقوة كبيرة أما الأعشى فقد فرّ هارباً إلى المستنقعات ، وأما الحبشى فحكم مصر مدة خمسين عاماً ، كان سلوكه فيها على النحو التالي : كلما ارتكب أحد من المصريين جرماً ما ، لم يشأ أن يقتل واحداً منهم ، بل كان يقضى في كل بما يتفق وضخامة الجرم ، ويأمر كلا بإقامة السدود في المدينة التي جاء منها كل واحد من المجرمين ، وهكذا أصبحت المدن أكثر ارتفاعاً عن ذى قبل ، لأنها بعد أن كانت قد إرتفعت أول الأمر بفضل الذين حفروا القنوات في عهد سيسوستريس ، ارتفعت ثانية من جراء هذه العمليات في عهد الملك الحبشى ، وأصبحت شديدة العلو ، ومع أن سائر المدن المصرية مرتفعة ، فأرض المدينة في بوباسطيس ، فيما يجئيل إلى ، مرتفعه بوجه خاص ، وفيها معبد بوباسطيس ، وهو عظيم الجدارة

(١) هو شباكا من الأسرة الخامسة والمشرين التي تتألف بحسب قول مانيتو من ثلاثة ملوك فقط هم : شباكا ، وشباتاكا ، وطهراقا . وذكروا ديودور أنها تتألف من أربعة ملوك . وليس في الوثائق القديمة ما يدعم ما ذكره هيروdot من أنهم كانوا ثمانية عشر ملكاً .

بالوصف ، وقد يكون غيره من المعابد أضخم منه حجماً ، وأبهظ نفقات ، ولكن ليس فيها معبد واحد يفوقه بهجة للنظر ، والإلهة بوباسطيس هي في اللغة اليونانية أرتيمس .

١٣٨ — وهذا هو وصف المعبد : يقوم كله فيما عدا المدخل على جزيرة ، إذ ينساب من النيل فرعان لا يلتقيان ببعضهما ، ولكل منهما يجران كل على حدة إلى مدخل المعبد ، ويحفان بالمعبد كل من جانب ، وعرض كل من الفرعين مائة قدم وتظللهما الأشجار . أما المدخل فلارتفاعه عشرة أبواع ، ومزخرف بأشكال طولها ستة أقدام وهي جذيرة بالوصف . ويقع المعبد في وسط المدينة ، ويرى من جميع الجهات إذا درت حوله . ذلك بأنه في حين أن المدينة قد ارتفعت لم يرتفع المعبد عن المستوى الذي كان عليه يوم شُيد أولاً ، فهو لهذا ظاهر . ويحيط بالمعبد سور نقشت فيه أشكال ، وفي داخل السور بستان ذو أشجار باسقة نامية حول المحراب الكبير الذي يوجد داخله تمثال الإلهة . ويبلغ طول المعبد وعرضه في جميع الجهات ستاد ، ويوجد بجناء المدخل طريق مرصوف بالحجارة ، لمسافة ثلاثة ستاد تقريباً ، وهو يمتد شرقاً مغترباً السوق ، وعرضه أربع مائة قدم ، وتنمو على جانبي هذا الطريق أشجار تبلغ عنان السماء ، وهو يؤدي إلى معبد هرمس . ذلك إذن هو وصف المعبد .

١٣٩ — وكان خروج الحبشى النهائى من مصر على هذا النحو : أسرع بالقرار بعد أن رأى حلاً في منامه . رأى كأن رجلاً يقف إلى جانبه وينصحه

بأن يجمع كل كهنة مصر ويقطعهم من الوسط . فقال بعد أن رأى هذا الحلم أنه يخيل إليه أن الآلهة تحيك له شركا حتى إذا إنتهك حرمة الأشياء المقدسة أصابه الضر من الآلهة أو الناس ، وأنه لن يفعل هذا ، بل إن الوقت الذي قُصِيَّ بأن يحكم فيه مصر قد إنقضى ولم يبق إلا الإنسحاب . ذلك بأنه عندما كان في الحبشة أعلن الوحي الذي يستنبؤه الأحباش أنه قد قُصِيَّ بأن يكون ملكاً على مصر مدة خمسين عاماً ، وحيث أن هذه الفترة قد انقضت الآن ، وأن الحلم الذي رآه في منامه كان يزعمه ، فقد إنسحب سبأكو من مصر مختاراً .

١٤٠ - وحالما قفل الحبشى راجعاً من مصر ، جاء الأعمى وحكماً ثانية إذ أنه كان قد ابنتى جزيرة في إقليم المستنقعات بركام الرماد والتراب . وظل يعيش عليها طيلة الخمسين عاماً . فإنه أمر كل واحد من المصريين (وقد كان مقرراً أن يزوروه حاملين الطعام خلسة من الحبشى) أن يحضروا معهم كلما جاءوا رماداً أيضاً بمثابة هدية . ولم يستطع ملك واحد قبل أميرتيوس أن يقع على هذه الجزيرة ، فالملوك الذين سبقوا أميرتيوس لم يوقفوا في العصور عليها مدة تزيد على سبعمائة سنة . واسم هذه الجزيرة هو إلبو وامتدادها في جميع الجهات عشرة ستاد .

١٤١ - وتولى بعده الحكم كاهن هيفايستوس واسمه نيثوس^(١) . وقد عامل المحاربين المصريين بامتهان وازدراهم ظاناً أنه لن يحتاج إليهم .

(١) لم يرد ذكره في غير هذا الموضع من الأدب القديم . ولعله كان كاهناً مصرياً يحكم في مصر السفلى تحت سلطان الأحباش . وينهب البعض إلى أن كلمة سيثوس هي تحريف لفظة المصرية « ستنى » لقب الكاهن .

ولقد أبدى نحوهم كثيراً من مظاهر الامتihan منها أنه جردهم من أقطاعاتهم، مع أنهم كانوا يعطون كل واحد منهم في عهد من سبقه من الملوك قطعة منتقاة مساحتها اثنا عشر فدانا . وبعد ذلك ساق سانخاريب^(١) ملك العرب والآشوريين جيشاً عظيماً على مصر . ورفض الحارثيون المصريون طبعاً أن يساعدوا ملكهم . ولقد وجد الكاهن نفسه في مأزق فذهب إلى الحراب وندب أمام التمثال ما يحق به من بؤس . وفيما هو يندب أخذه النوم ، وخيل له في الحلم كأن الرب يقف بجانبه يشد إزره قائلاً إنه لن يصيبه ضرر إذا خرج لملاقاة الجيش العربي ، وذلك لأن الرب ذاته سيرسل إليه من يساعده . إعتد على هذه النبؤات وأخذ معه من المصريين من رغب في اتباعه وعسكر في بيلوزيوم، فهناك المنافذ إلى القطر . ولم يتبعه واحد من الحارثيين بل تبعه تجار وصناع وباعه . ولما وصلوا إلى هناك هجمت على أعدائهم بالليل أسراب من الفئران^(٢) البرية ، وقرضت جمعهم وأقواسهم وحمايل دروعهم كذلك ، حتى أنهم فروا في اليوم التالي وقد أصبحوا عزلاً من السلاح ، وسقط منهم الكثيرون ، وإلى الآن يقوم تمثال حجري لهذا الملك في معبد هيغايستوس حاملاً في يده فأراً ، عليه نقش يقول « فليتنق الله كل من ينظر إلى »^(٣)

(١) سانخاريب ملك الآشوريين غزا مصر في أوائل القرن السابع ق . م وطُرد من مصر في عهد طهرافا الذي انتهى سنة ٦٦٣ ق . م .
 (٢) الفأر رمز الطاعون عند اليونانيين
 (٣) كان الفأر مقدساً لاله حورس في مدينة بوطو . ويظهر أن مصدر القصة كان صورة لكاهن حورس يحمل الفأر رمز الإله .

١٤٢ - القول إلى هذا الحد من تاريخنا قول المصريين وكهنتهم ، وقد بينوا لى أنه قد عاش منذ أول ملك إلى كاهن هيفايستوس هذا وهو آخر الملوك واحد وأربعون وثلثمائة جيل من الناس . وكان عندهم عدد من الملوك والكهان يماثل عدد الأجيال . والآن ، فإن ثلثمائة جيل من الناس تساوى عشرة آلاف عام لأن القرن مكون من ثلاثة أجيال . ويبلغ ما تشتمل عليه الأجيال الواحد والأربعون الباقية ١٣٤٠ عاماً . وهم يقولون أنه في ١١٣٤٠ سنة لم يظهر إله واحد في هيئة إنسان . وقرروا أنه لم يظهر شيء من هذا القبيل في عهود ملوك مصر الباقين لامن قبل ولا من بعد . هذا ولكنهم يقولون أنه في تلك الفترة قد طلعت الشمس من غير مواضعها المعهودة أربع مرات ، فأشرقت مرتين حيث تغرب الآن وغربت مرتين حيث تشرق الآن ، وأنه لم يتغير شيء في مصر من جراء هذا لافي غلة الأرض ولا في نتاج النهر ، ولا فيما يتعلق بالأمراض أو الموت .

١٤٣ - ولما كان هيكتايوس^(١) المؤرخ في طيبة فيما مضى تتبع نسبه ووصل بأبائه إلى إله في الجيل السادس عشر قبله ، وقد صنع معه كهنة زيوس مثل الذي صنعوه معى مع أنتى لم أتبع نسبي . ذلك أنهم فادوني إلى

(١) هيكتايوس الملطي مؤرخ وجغرافي سابق لهيودوت ، وقام برحلات كثيرة في آخر القرن السادس ق. م. وقد زار مصر في عهد نارا ليجمع مادة لكتابه « حول الأرض » التي نشره قبل سنة ٥٠٠ ق. م. ومن كتبه الأخرى كتاب « التواريخ » و « الأنساب »

المحراب الداخلى وأرونى تماثيل خشبية ضخمة ، وعدوها ميينين أن عددها كان كما قالوا تماما . فإن كل كاهن أعظم يضع هناك تماثلاً لنفسه أثناء حياته . وفيما كان الكهنة يعدونها ويطلعونى عليها، بينوا لى أن كل واحد من الكهان العظام كان خليفة أبيه . وقد بينوا هذا بادئين بأخر من مات منهم ومارين بهم جميعاً إلى أن أتوا على ذكرهم أجمعين . ولما تتبع هيكاتيوس نسبه ووصل بنسبه إلى إله فى الجيل السادس عشر قبله، عارضوا نسبه اعتماداً على هذا الثبوت، فإنهم لم يصدقوا ما قرر من أن إنساناً ينشأ عن إله . وقد عارضوا نسبه بأن بينوا أن كل واحد من أصحاب التماثيل الضخمة كان بيروميس خليفة بيروميس ، وبينوا أن هذا ينطبق على الخمسة والأربعين وثلاثمائة تماثلاً ، ولم يمزوا أصل واحد منها إلى إله أو بطل . وبيروميس تعنى فى اللغة اليونانية "رجل فاضل" (١)

١٤٤ — وإذن فقد استتبع تدليلهم أن هذه التماثيل كانت مطابقة لأصولها الإنسانية، وكانت بعيدة فى جميع الأحوال عن الآلهة . وقبل هؤلاء الأناسى كانت الآلهة تحكم مصر وتعيش مع الأناسى جنباً إلى جنب وكان واحد منها يسيطر عليها دائماً . وكان آخر الملوك من الآلهة هورس ابن أوزيريس ويسميه اليونانيون أبوللو ، وهو الذى خلق طيفون ، وكان آخر الآلهة التى حكمت مصر . وأوزيريس هو فى اللغة اليونانية ديونيسوس .

(١) « بي — زوى » تعنى فى المصرية « الرجل » ولقطة « روى » كانت اللقطة الشائعة لعنى مصرى . وهى تعنى أيضاً « إنسان » فى مقابلة « إله »

١٤٥ — ويُعد هرقل وديونيسوس وپان في بلاد اليونان أصغر الآلهة. أما المصريون فيعدون پان أقدم الآلهة ، وأحد الآلهة التي يسمونها الآلهة الثمانية الأولى. وهرقل أحد آلهة الطبقة الثانية ويسمونها الآلهة الإثني عشر، وديونيسوس أحد آلهة الطبقة الثالثة الذين نشأوا عن الآلهة الإثني عشر . ولقد ذكرت فيما سبق كم من السنين انقضى فيما يقول المصريون بين هرقل والملك أمازيس . ويقال إن الفترة التي انقضت منذ عهد پان أطول من ذلك ، وانقضت منذ عهد ديونيسوس فترة أقصر من ذينكما . وهم يعدون من عهد ديونيسوس هذا إلى عهد الملك أمازيس خمسة عشر ألف عام . ويقرر المصريون أنهم يعرفون ذلك على وجه الدقة، إذ أنهم يعدون السنين باستمرار ولا ينقطعون عن تسجيل إعدادها . هذا مع أن الفترة منذ عهد ديونيسوس بن سميلي إبنة كادموس إلى زمانى هذا حوالى ستمائة وألف عام . ومن هرقل بن الكيني تسعمائة عام تقريباً ، والفترة من پان بن بينيلوبي (يقول اليونانيون إن پان بن هرمس وبينيلوبي) أقصر من الفترة التي انقضت منذ الحروب الطروادية التي حدثت منذ ثمانمائة سنة تقريباً .

١٤٦ — ولكل واحد أن يختار من هاتين الروائتين ما يراها أولى بالتصديق . ولقد أوضحت أنا شخصياً رأيي في الموضوع ، فإذا كان هذان الإلهان (ديونيسوس بن سميلي، وپان بن بينيلوبي) اشتهرا وعمرافا في بلاد اليونان شأنهما في ذلك شأن هرقل بن أمفيتريون، فلقاتل أن يقول إن هذين الإلهين كانا إنسانين واتخذا إسمي ذينك الإلهين المذكورين . وبعد ، فإن اليونانيين

يقولون إن زيوس قد خاط ديونيسوس إلى نخذه بعد أن وُلِدَ مباشرة وحمله إلى نيسا^(١) التي تقع في الحبشة فيما وراء مصر . ولكنهم لا يعلمون ما حدث لبان بعد ميلاده . فمن الواضح إذن فيما يخيل إلى أن اليونانيين عرفوا إسمى هذين الإلهين بعد أسماء الآلهة الأخرى ، وأنهم وضعوا ميلاد هذين الإلهين في الفترة التي دروا فيها بأمرها .

١٤٧ — المهدة فيما أسلفت على المصريين أنفسهم . وإني سأثبت من الآن ما يقرره الآخرون بشأن هذا البلد وكذلك ما يقول به المصريون إذا إتفق مع الروايات الأخرى ، وسأضيف إلى هذا شيئاً من مشاهداتي الشخصية .

لما حرر المصريون بعد حكم كاهن هيفايستوس ، قسموا مصر كلها إلى إثنتي عشرة مقاطعة ، ولوا عليها اثني عشر ملكاً (فقد رأوا أنهم لا يستطيعون العيش زمناً بدون ملك) وتزوج هؤلاء فيما بينهم ، وحكموا بعد أن قطعوا على أنفسهم اليهود بالآي تخلع واحد منهم الآخر ، وألا يسعى أحدهم أن يكون له من السلطة أكثر مما لآخر ، وأن يكونوا كأحسن ما يكون الأصدقاء . وقد اتخذوا هذه اليهود وحافظوا عليها بقوة ، لأن الوحي قد جاءهم في أول الأمر بعد أن عينوا للحكم مباشرة ، بأن من يسكب القربان منهم من إناء برونزي في معبد هيفايستوس سيتولى ملك مصر بأسرها . (كانوا يجتمعون في المعابد كلها الواحد بعد الآخر .)

(١) يظهر أنه يعني جبل برقة في ناطا .

١٤٨ - وقرروا أن يخلفوا أترأ لهم مشتركاً . فأبتنوا تنفيذاً لهذا القرار اللابيرنث^(١) الذى يقع فيما وراء بحيرة مويريس بقليل ، فى مواجهة المدينة التى تدعى مدينة التماسيح تقريباً . ولقد رأيت هذا البناء وهو يجبل عن الوصف فلو أن إمرأ حشد معرضاً للعبانى والآثار الفنية التى أخرجها اليونانيون لظهر أنها تقل فى صناعتها ونفقاتها عن هذا اللابيرنث . هذا مع أن معبد أفسوس ومعبد ساموس كلاهما جدير بالوصف ، والأهرام كما رأينا فيما سبق تجبل هى الأخرى عن الوصف ويضارع كل منها الآثار اليونانية على عظمتها . ولكن اللابيرنث تفضل الأهرام أيضاً . واللابيرنث اثنا عشر بهواً مسقوفاً مداخلها متقابلة ، ستة منها متجهة الى الشرق وستة متجهة إلى الغرب فى إطاراد ، ويحيط بها من الخارج سور واحد ، وهناك صنفان من الغرف ، غرف تحت الأرض وغرف فوقها ، وعددها ثلاثة آلاف غرفة ، خمسمائة وألف من كل نوع . أما الغرف التى فوق سطح الأرض فقد رأيناها ومررنا بها وإنا نصف ما عايناه بأنفسنا . أما الغرف التى تحت سطح الأرض فقد وقفنا على أمرها بالسمع ، لأن القائمين بالأمر هنا من المصريين لم يرضوا مطلقاً أن يرونا إياها زاعمين أن توابيت الملوك الذين ابتنوا فى البدء ذلك اللابيرنث راقدة بداخلها ، وكذلك توابيت التماسيح المقدسة . وهكذا فقد تلقفنا بالسمع ما نقول فى الغرف السفلية . أما الغرف العليا ، وهى تفوق ما أخرجته الإنسان من آثار فقد شاهدناها بأنفسنا . فالمرات خلال الزدهات ،

(١) هو بناء على شكل حدوة الحصان كان فيما يرجع بالقرب من هرم حواره .

والممرجات الشديدة التداخل خلال الأبهاء ملأتنا عجباً بالغاً أثناء مرورنا من البهو إلى الغرف ومن الغرف إلى الأروقة ومن الأروقة إلى ردهات أخرى ومن الغرف إلى سائر الأبهاء . وسقف هذه الأبنية كلها من الحجر مثل الأسوار . والأسوار مليئة بالصور المحفورة . وتحيط بكل بهو أعمدة من الحجر الأبيض متسقة أشد الاتساق وملتصقة ومتداخلة بغاية الإتقان . ويوجد في الركن عند طرف اللايرنث هرم طوله أربعون باعاً ، وقد مُدَّ طريق تحت الأرض يؤدي إليه .

١٤٩ — والبحيرة التي تدعى بحيرة مويريس وهي التي بنى بجانبها اللايرنث ، تملأنا عجباً أكثر من اللايرنث نفسه وهو كما وصفنا . فطول محيطها ٣٦٠٠ ستاد . أو ستون سخينوساً ، وهي مسافة تعادل طول مصر نفسها على ساحل البحر ، والبحيرة ممتدة من الشمال إلى الجنوب وعمقها - أعمق ماتكون خمسون باعاً ، أما أنها صناعية محفورة فأمر جلي ، فإنه يقوم في وسط البحيرة تقريباً هرمان يعلو كل منهما فوق الماء بمقدار خمسين باعاً ومثل هذا القدر مبنى تحت سطح الماء ، وينتصب فوق كل منهما تمثال ضخم من الحجر متبوتاً عرشاً ، وهكذا يكون ارتفاع كل من الهرمين مائة باع ، ومائة باع تساوى ستاداً واحداً مؤلفاً من ستائة قدم ذلك أن الباع يساوى ستة أقدام ، أو أربع أذرع إذ أن القدم أربعة أشبار والذراع ستة أشبار

والماء في البحيرة ليس فيها بالطبيعة فهذه الجهات عديمة الأمطار للغاية .

والماء مجلوب من النيل بواسطة قناة . وينساب الماء من النيل داخلًا في البحيرة مدة ستة أشهر ، وخارجاً من البحيرة إلى النيل كرة أخرى مدة ستة أشهر . وفي الأشهر الستة التي ينساب الماء فيها خارجاً من البحيرة يورد إلى الخزانة الملكية صيداً بمبلغ طالنط من الفضة كل يوم ، ويكون دخل الخزانة حينما يأتي الماء إلى البحيرة عشرون مناً فحسب .

١٥٠ - وقال أهل البلاد كذلك أن هذه البحيرة تمتد تحت الأرض من جهتها الغربية إلى الأرض الداخلية فيما وراء السلسلة الجبلية التي بالقرب من منف ، وتصب في السيرتيس في ليبيا . وحيث أتى لم أر الرمال الناشئة عن الحفر في أي مكان وكان ذلك شغلي الشاغل ، فقد سألت الذين يسكنون بجوار البحيرة مباشرة أين تقع الرمال التي حفرت فقال لي هؤلاء أين نقلت فصدقتهم بسهولة . لأنني كنت قد علمت بالسمع أن مثل هذا قد حدث أيضاً في مدينة نينوى^(١) في آشوريا . فقد كان ساردانا بالوس^(٢) ملك نينوى يملك أموالاً طائلة محروسة في كنوز تحت الأرض ودبر اللصوص أن يسرقوها . فبدأ اللصوص من بيوتهم وقدروا المسافة ودأبوا يحضرون صوب القصر الملكي . وكانوا كلما جن الليل يحملون التراب المستخرج من الحفر إلى نهر الدجلة الذي يجري بجوار نينوى ، إلى

(١) هي عاصمة آشور من سنة ١٣٠٠ ق . م . إلى أن استولى عليها الميديون في سنة ٦١٢ ق . م .

(٢) هو آشور بانيبال ، ملك آشوري عاش في القرن السابع ق . م .

أن بلغوا مأربهم . ولقد سمعت أن حفر البحيرة في مصر كان على ذلك النحو إلا أنه لم يعمل بالليل بل بالنهار . فقد حمل المصريون الأثرية المستخرجة بالحفر إلى النيل ، فابتلعها النيل وألقى بها بعيداً بالطبع .

١٥١ - ظل الملوك الإثنا عشر يصطنعون العدل فيما بينهم زمنًا ، وعندما كانوا يضحون في معبد هيفايستوس حدث في آخر أيام العيد عندما كانوا يزعمون سكب القربان ، أن أخطأ الكاهن الأكبر عدمه فأحضر لهم الأواني الذهبية التي كانوا قد تعودوا استخدامها في سكب القربان ، ولكنه وقد أخطأ عدمه أحضر للآثني عشر إحدى عشرة آنية .

وحيث أن پساتيك كان يقف آخرهم ، ولم يكن له إناء ، فقد نزع خوذته وكانت من البرونز وتناول بها خمر القربان وسكبه . وكان سائر الملوك جميعاً يلبسون خوذات واتفق أنهم كانوا جميعاً يلبسونها في تلك المناسبة . وإذن فلم يكن پساتيك يصطنع شيئاً من المكر عندما استخدم خوذته . وتدبر الملوك الآخرون فيما فعل پساتيك وفي النبوة التي أعلنتهم « بأن من يسكب منهم القربان من إناء برونزي سيكون وحده ملك مصر » . ولما تذكروا النبوة لم يستصوبوا قتل پساتيك ، فقد وجدوا بالتحري أنه لم يأت ما فعل بقصد سىء . وقرروا أن يجردوه من الجزء الأكبر من سلطانه وينفوه إلى المستنقعات ، وألا يغادر المستنقعات ولا يتصل بسائر أقاليم مصر .

١٥٢ - وكان سبا كوالجبشى قد نفي پساتيك هذا في مرة سابقة ،

نفاه إلى سوريا بعد أن قتل أباه نيكوس^(١). ولما غادر الحبشى البلاد بسبب الحلم الذى رآه، استرجع المصريون من أهل سايس بسمايتيك، فكان من سوء طالعهم أن ينفية الملوك الأحد عشر مرة ثانية إلى المستنقعات بعد أن أصبح ملكا بسبب الخلوذة. وقد أحس أنهم ظلموه ونوى أن ينتقم من مضطهديه. وأرسل إلى وحى ليطوف في مدينة بوطو حيث يوجد وحى عظيم التصديق عند المصريين. وجاءه الوحى بأن الانتقام سياتى من ناحية البحر حينما يظهر قوم برونزيون. وتملكه إنكار شديد بأنه سياتى رجال برونزيون لمؤازرتة.

وبعد مضى زمان غير طويل عصف النوء رجال أيونيين وكارين كانوا قد أبحروا بغية السلب، وطوح بهم إلى مصر. ولما نزلوا إلى البر كانوا مدرعين بالبرونز. وذهب واحد من المصريين ولم يكن قد رأى من قبل رجالا مدرعين بالبرونز، وأبلغ بسمايتيك أن رجالا برونزين قد وصلوا من البحر وأنهم ينهبون السهل. أيقن بسمايتيك أن النبوءة قد تحققت وعمل على صداقة الأيونيين والكارينين وحاول أن يقنعهم بوعود سخيه أن يكونوا في خدمته. ولما أقنعهم غلب الملوك بمساعدة المصريين الذين انضموا تحت لوائه وهؤلاء المرتزقة معاً.

(١) هو أبو بسمايتيك الأول، كان حاكماً من حكم الأقاليم تحت إشراف الآشوريين، وإذا كان ما قاله هيرودوت صحيحاً يكون نيكوس قد قتل في عام ٦٦٣ ق م عند غزو الأحباش لمصر.

١٥٣ — لما قهر بساتيك مصر كلها أقام في منف الصرح الجنوبي لمبد هيفايستوس وابنتى في مواجهة الصرح بهواً لا ييس يحفظ فيه آيس عندما يتجلى ، وهو كله محاط بالأعمدة ، ملء بالرسوم ، وتحمله تماثيل ضخمة طول كل منها إثنى عشر ذراعاً بدلا من أعمدة . وآيس هو في اللغة اليونانية إيافوس .

١٥٤ — وأقطع بساتيك الأيونيين والكاريين الذين عملوا له أراضى ليسكنوها وكان بعضها في مواجهة بعض ، والنيل في منتصفها . وهذه الإقطاعات اتخذت اسم المسكرات . لقد أقطعهم هذه الأراضى وأعطاهم سائر ما كان قد وعدهم به جميعاً ، هذا إلى أنه عهد اليهم بصبيان مصريين ليتعلموا اللغة اليونانية . ومن هؤلاء نشأت طائفة التراجمة في مصر بعد أن تعلموا اللغة اليونانية . ونزل الأيونيون والكاريون هذه الإقطاعات زمناً طويلاً وهى تقع ناحية البحر بعد مدينة بوباسطيس بقليل ، على فرع النيل المسمى بالقرع اليلوزى . وبعد زمن ما نقلهم الملك أمازيس^(١) من ذلك المكان وأسكنهم منف وجعلهم حرسه الخاص ضد المصريين . ولما سكن هؤلاء مصر عرف اليونانيون عن طريق الإتصال بهم كل ما ألم بمصر على وجه الدقة ابتداءً من عهد بساتيك وما بعده . ذلك أن هؤلاء أول من سكن

(١) هو أحس الثانى الذى ولى الملك من سنة ٥٦٩ إلى سنة ٥٢٦ ق . م ويذهب هيرودوت إلى أن عصره هو العصر الذهبى لليونان في مصر ، ولكن الواقع أن أحس الثانى وصل إلى الحكم نتيجة لحركة قومية مناهضة لنفوذ اليونانيين في مصر .

مصر من الأجناب . ولقد ظلت في الأراضى التى كانوا قد أجلوا عنها إلى زمانى هذا موانئ سفنهم وآثار مساكنهم . وهكذا استقل بسمايتك بمصر .
١٥٥ - كثيراً ما ذكرت فيما سبق مهبط الوحى فى مصر . وسأجعل الكلام عليه الآن لأنه جدير بالوصف . مهبط الوحى هذا هو معبد ليطو القائم فى مدينة كبيرة على فرع النيل المسمى بالفرع السينيئى فى طريقك من البحر إلى داخل البلاد .

واسم تلك المدينة التى يقع فيها الوحى هو بوطوكا أسميتها آنفاً . ويوجد فى مدينة بوطو هذه معبد لأبوللو وأرتيس . ومعبد ليطو الذى يقع فى داخله مهبط الوحى له - فضلاً عن ضخامته - صرح ارتفاعه عشرة أبعاد . وإنى سأصف الآن ما كان أشد إثارة للعجب فى نفسى من بين ما عرضوه على . يوجد داخل أسوار معبد ليطو هذا محراب متخذ من حجر واحد ، وهو متساوى الأطوال سواء نظرت إليه من ناحية الارتفاع أو العرض فكل منهما أربعون ذراعاً . وسقفه حجر آخر منبسط له إفريز بارز بمقدار أربع أذرع .

١٥٦ - هذا المحراب هو أشد ما عرضوه على فيما يختص بهذا المعبد إثارة للعجب . وتتلوه الجزيرة التى تدعى جزيرة خميس التى تقع فى بحيرة عميقة واسعة بجوار معبد بوطو ، ويسمىها المصريون الجزيرة العائمة . وإنتى شخصياً لم أرها عائمة أو متحركة ولكنى عجت إذ سمعت بأمر جزيرة عائمة حقاً . وفى هذه الجزيرة معبد عظيم لأبوللو مبنى فيه ثلاثة هياكل ،

وينسوفى هذه الجزيرة نخيل كثيف وأشجار أخرى كثيرة بعضها يحمل ثماراً وبعضها لا يحمل ثماراً .

ويرى المصريون هذه القصة تفسيراً لأمر الجزيرة العائمة : فى الزمان الفارحين كانت الجزيرة ثابتة غير عائمة ، كانت ليطو وهى إحدى الآلهة الثمانية الأولى تسكن مدينة بوطو ، فى البقعة التى يوجد فيها مهبط وحياها ذلك . وقد استلمت من إيزيس أبوللو وديعة وأتخذت حياته بأن خبأته فى الجزيرة العائمة حدث هذا فى الوقت الذى كان فيه طيفون يجوب العالم منقباً يريد أن يجد ابن أوزيرس . (يقول المصريون إن أبوللو وأرتيمس أبنا ديونيسوس وإيزيس ، وأن ليطو كانت مريتهما ومنقذتهما . وفى اللغة المصرية أبوللو هو حورس وديميتير هى إيزيس وأرتيمس هى بوباسطيس . وعن هذه الرواية بالذات أخذ أيسخيلوس^(١) بن إيوفوريون القصة التى سردتها لأنه الوحيد دون سائر الشعراء الذين سبقوه الذى جعل أرتيمس إبنة ديميتير) . ومن أجل ذلك صارت الجزيرة فيما يقولون عائمة . هذه إذن هى القصة التى يروها المصريون .

١٥٧ — وتولى پساتيك ملك مصر أربعاً وخمسين سنة ، قضى منها تسعاً وعشرين سنة فى حصار أزوتوس^(٢) حصاراً متواصلاً إلى أن أخذها

(١) شاعر يونانى عاش من ٥٢٥ ق . م يقال إنه كتب تسعين مأساة . ضاعت ولم يبق منها إلا سبع والمأساة التى اقتبس منها هيرودوت من المأسى الضائعة
(٢) هى مدينة أشدود المذكورة فى العهد القديم .

وهي مدينة كبيرة في سوريا . وقد صمدت أزوتوس هذه بمد حصارها مدة أكبر من كل المدن التي نعرفها .

١٥٨ — وولد لسيماثيك ابن هو نيخوس ، الذي تولى ملك مصر . وهو أول من حاول شق القناة التي تؤدي إلى البحر الأحمر ، وقد أتم حفرها من بده دارا^(١) الفارسي . وطول القناة مسافة إبحار أربعة أيام . وقد شقت عريضة إلى حد أن سفينتين من ذوات الصفوف الثلاثة من المجاديف تخرانها جنباً إلى جنب . ويؤتى بالماء إليها من النيل ، يؤتى به من مكان فوق مدينة بوباسطيس بقليل ، بالقرب من المدينة العربية باتوموس^(٢) . وتمتد القناة من هنا إلى البحر الأحمر . والجزء الأول منها محفور في الجانب العربي من السهل المصري . وتتصل بهذا الجانب إلى الشمال من السهل سلسلة الجبال التي تواجه منف والتي تقع فيها المحاجر . وأصغر طريق وأقصره لقطع المسافة من البحر الشمالي إلى البحر الجنوبي الذي يسمى كذلك البحر الأحمر أي من جبال كاسيوس التي تفصل بين مصر وسوريا مسافة ألف ستاد تماماً إلى الخليج العربي . هذا هو أقصر طريق ، أما الطريق الذي يسير القناة فأطول منه بكثير لأنه أكثر تعرجاً . وقد هلك من المصريين في عهد نيخوس أثناء عملية الحفر مائة وعشرون ألف

(١) حكم فارس من سنة ٥٢٢ ق . م وتارت مصر في عهده على حكم الفرس سنة ٤٨٦ ق . م . ولكنه مات في هذه السنة وخلفه أكرزركيس .

(٢) هي مدينة فيثوم في المهد القديم .

عامل . وتوقف نيخوس في وسط عملية الحفر إذ أفنته نبوءة تقول إنه
ينصب من أجل بربرى . فالمصريون يسمون كل من لا يتكلم
لغتهم بربرياً .

١٥٩ — ولما توقف نيخوس عن حفر القناة اتحنى نحو الشاطئء وابتنى
سفنًا ذات ثلاثة صفوف من المجاذيف ، بعضها للبحر الشمالى وبعضها الآخر
للبحر الأحمر ، ابتناها في الخليج العربى ، ولا زالت مراسيها بادية إلى الآن ،
وفضلا عن استخدام هذه السفن عند الحاجة فقد اشترك مع السوريين
في موقعة برية في ماجدولوس^(١) . وهزمهم ، واستولى بعد هذه الموقعة
على كاديتيس^(٢) ، وهى مدينة كبيرة في سوريا . وأرسل إلى برانخيڨداى^(٣)
في ميليسيا البرة التى كان يلبسها أثناء قيامه بهذه العمليات وأهداها إلى
أبوللو ، وبعد أن حكم ست عشرة سنة بأكلها ، توفى تاركا السلطان لابنه
يساميس^(٤) .

١٦٠ — وفي عهد يساميس جاء إلى مصر سفراء من الإليائيين يفتخرون
بأن النظام الذى إتبعوه في المباريات الأولمبية هو أعدل وأحسن النظم

(١) يظهر أنه يبنى مجدل المذكورة في العهد القديم وهى على حدود مصر المصرية ،
ولكن الموقعة حدثت في مجدو سنة ٦٠٩ ق . م . ويظهر أن هيودوت لم يسمع
بهبزعة نيخوس على يد نبوختنصر في قريش سنة ٦٠٤ ق . م .

(٢) هى مدينة غزة الآن .

(٣) مدينة في ملطية وكان فيها مهبط لوجي أبوللو . وقد أقام المهبط برانخوس بن أبوللو .

(٤) هو بسايتيك الثانى حكم مصر من سنة ٥٩٣ إلى سنة ٥٨٨ ق . م .

الإنسانية قاطبة . وكانوا يعتقدون أن المصريين وهم أحكم الناس لن يوقفوا إلى شيء يزداد عليه . وأعلن الإلياثيون عند وصولهم إلى مصر الأسباب التي حضروا من أجلها . وعندئذ استدعى الملك من يقال إنهم أحكم المصريين . ولما اجتمع المصريون عرفوا مما قاله الإلياثيون كل الأنظمة الموضوععة عندهم للمباريات . وبعد أن شرح الإلياثيون كل الأنظمة قالوا إنهم جاءوا ليعملوا إذا كان المصريون يستطيعون أن يوقفوا إلى نظام ما عسى أن يكون أعدل منها . وتشاور المصريون وسألوا الإلياثيين هل يشترك مواطنوهم في المباريات . فأجاب هؤلاء بأن الاشتراك في المباريات مباح لمن يشاء من الإلياثيين ومن سائر اليونانيين على السواء . فقال لهم المصريون أنهم إذ وضعوا هذه القاعدة قد أخفقوا في تحقيق العدل الشامل . ذلك بأنه لا توجد وسيلة لا يجابون بها مواطنهم إذا اشترك في المباريات ، وبذلك يظلمون الأجانب ، ولكنهم إذا أرادوا أن يحكموا بالعدل وكان ذلك سبب مجيئهم إلى مصر فليأمرؤا بأن تقام المباريات بين المتبارين من الأجانب ، والأيسمح للإلياثي واحد بالاشتراك فيها . تلك هي النصيحة التي أسداها المصريون إلى الإلياثيين .

١٦١ - تولى پساميس ملك مصر ست سنوات فحسب ، وتوفى بعد يسير حملة على الحبشة مباشرة ، وخلفه على العرش آپريس^(١) بن پساميس .

(١) هو الفرعون خفرع المذكور في العهد القديم وقد حكم مصر من ٥٨٨ -

وحكم هذا خمسة وعشرين عاماً سير فيها جيشاً ضد صيدا ، واشتبك في موقعة بحرية مع ملك صور . ولما كُتِبَ عليه أن يصيبه الضر ، أصابه نتيجة لحادثة سأشرحها بالتطويل في تاريخ ليبيا . وسأتناولها بالاختصار في هذا الكتاب . أرسل أريس جيشاً عظيماً ضد القورينائيين فأدركته مصيبة عظيمة . وسخط المصريون لذلك وثاروا عليه ، فقد رأوا أن أريس قد أرسل بهم إلى هلاك محقق حتى إذا هلكوا تيسر له أن يحكم بقية المصريين بمزيد من الأمن . سخط الذين رجعوا ، وأصدقاء الذين هلكوا لهذه التصرفات ، وثاروا عليه علانية

١٦٢ — ولما درى أريس بذلك أوفد إليهم أمازيس ليتحدث إليهم ويثنيهم عن عزمهم . وجاء هذا إليهم ساعياً إلى منع المصريين من إتيان هذا الأمر . وفيما هو يتحدث إليهم وقف واحد من المصريين وراءه ، ووضع خوذته على رأسه وبعدها قال إنه إنما وضعها ليجعل منه ملكاً ، ولم يكن هذا التصرف من غير المرغوب فيه على الإطلاق لديه كما ظهر من سلوكه . ذلك بأنه بعد أن نصبه الثوار المصريون ملكاً مباشرة ، بدأ يجهز حملة ضد أريس . فلما علم أريس بذلك أوفد إلى أمازيس رجلاً فاضلاً من أفراد حاشيته المصريين اسمه پاتاريميس وأمره أن يحضر أمازيس إليه حياً . فلما جاء پاتاريميس نادى أمازيس . وافق أن كان أمازيس متمطياً صهوة جواده ، فكشف له عن عورته قائلاً له خذها إلى الملك . وبالرغم من ذلك ، فقد توسل إليه پاتاريميس أن يذهب إلى الملك الذي أرسل في طلبه . فأجابه

هذا قائلاً إنه كان يعد العدة للقيام بهذا الأمر منذ أمد بعيد ، وإن يخيب ظن أهرس فيه ، لأنه سيحضر شخصياً وسيحضر معه قوماً آخرين . وقد بانت نيته لباتاربيميس من أقواله وبما رأى من العناد ، فرجع مسرعاً ليوقف الملك بأسرع ما يستطيع على ما يجري . فلما وصل إلى أهرس دون أن يحضر أمازيس استشاط هذا غضباً . ولم يعط له فرصة للكلام بل أمر ، بان يجذع منه الأنف وتصلم الأذن . ولما رأى سائر المصريين الذين كانوا لا يزالون على ولائهم لأهرس أعظم الرجال بينهم يعامل على هذا النحو من الامتهان المذرى ، انضموا إلى الآخرين دون أن يترددوا لحظة واحدة ، ووضعوا أنفسهم رهن مشيئة أمازيس

١٦٣ - ولما علم أهرس بهذه الأمور أيضاً ، سلح جنوده المرتقة وقادم ضد المصريين ، ولقد كان تحت إمرته ثلاثون ألف جندي مرتق من الكارييين والأيونيين ، وكان قصره الضخم الباهر في مدينة سايس . كان أنصار أهرس إذن يسرون ضد المصريين ، أما أنصار أمازيس فقد كانوا يسرون ضد الأجانب واجتمع الفريقان كلاهما في مدينة مومفيس وكانا على وشك الإشتباك .

١٦٤ - وهناك سبع طبقات من المصريين ، تدعى طبقة الكهنة ، والحارين ورعاة البقر ، ورعاة الخنازير ، والتجار والتراجم والملاحين . هذه هي طبقات المصريين . واسماؤها مشتقة من حرفها . أما الحارون فيسمون كالاسيريس وهم موتويس وهم من المقاطعات الآتية فصر بأسرها مقسمة إلى مقاطعات .

١٦٥ — مقاطعات الهرموتويس إذن هي مقاطعات بوباسطيس وسائس وخميس وپاپريميس ومقاطعة الجزيرة التي تدعى پروسوبيشيس ونصف ناو. الهرموتويس يأتون من هذه المقاطعات ، وهم يبلغون إذا بانوا أقصى عددهم مائة وستين ألفاً ، ولا يجيد أحد منهم حرفة ما ، بل هم عاكفون على الجنديّة .

١٦٦ — أما مقاطعات الكلاسيريس فغير هذه ، وهي مقاطعة طيبة وبوباسطيس وأقيس وتانيس ومنديس وسينيتوس وأثريبيس وفاربايشس وشمويس وأنوفيس وأنوسيس وفويككوريس . وهذه المقاطعة الأخيرة تقع تجاه مدينة بوباسطيس . ويبلغ الذين يأتون من مقاطعات الكلاسيريس ، إذا بلغوا أقصى عددهم مائتين وخمسين ألف رجل . ولا يسمح لهؤلاء بالتدرب على أية حرفة ، بل يتدربون على الجنديّة فحسب . ويخلف فيهم الولد أباه .

١٦٧ — ولا أستطيع أن أفضى على وجه التحقيق فيما إذا كان اليونانيون قد أخذوا هذا التقليد أيضاً عن المصريين أم لا ، ولكنني ألاحظ أن التراقيين والاسكيثيين والفرس والليديين وكل البرابرة . كذلك تقريباً يعتبرون المواطنين الذين يتخذون حرفاً متهنين هم وأولادهم . أما الذين يترفضون عن الأعمال اليدوية وخصوصاً الذين ينصرفون إلى الجنديّة فيعتبرونهم نبلاء . ومهما يكن من شيء فقد تعلم اليونانيون كلهم هذا وخصوصاً الإلاقيديونيون . أما الكونثيرون فهم أقل اليونانيين إزدراء للصناع .

١٦٨ — وطبقة الحارين هي الطبقة الوحيدة في مصر — فيما عدا الكهنة — التي تتمتع بامتيازات ، فيوهب كل فرد منها اثنا عشر فداناَ معفاة من الضرائب (الفدان المصري مربع طول كل ضلع من أضلاعه مائة ذراع مصري . واتفق أن الذراع المصري يساوي الذراع الساموسى .) وكان الجميع يتمتعون بهذا الامتياز . أما الامتيازات التالية فيتمتعون بها بالدور ولا يتمتع بها واحد بالذات مرتين أبداً . يؤلف ألف من الكلاسيديس مع ألف آخرين من الهرموتويدس حرس الملك كل عام . وكان هؤلاء يمنحون كل يوم إلى جانب الفدادين مقدار من الخبز الخبز زنته خمسة من اللفرد ، ومنان من لحم العجول وأربعة أقداح من النبيذ . كانت هذه الامتيازات تمنح للذين يؤلفون الحرس الملكى في كل مرة .

١٦٩ — وعندما وصل أپريس على رأس الجنود المترقة وأمازيس على رأس المصريين كلهم إلى مدينة موميمفيس ، تقابلا والتحيا في موقعة . وأبلى الأجنب بلاءاً حسناً ، وكانوا يقلون عن خصومهم عدداً بكثير ، ولذلك هزموا . ويقال إن أپريس كان يعتقد أنه لا يوجد إله ما يستطيع أن يجرمه من الملك . ولكنه عند ما إشتبك في الموقعة هزم وأسر وسبق إلى مدينة سايس ، إلى القصر الذى كان فيما مضى قصره ، وأصبح الآن قصر أمازيس . وهناك استضيف في القصر وعامله أمازيس معاملة حسنة . وأخيراً تذر المصريون وقالوا إن إمازيس لا يلتزم جانب العدل باستضافة أعدى عدوهم وعدوه . وهكذا أسلم أپريس إلى المصريين فشنقه هؤلاء ثم

دفنوه في مقبرة آباته وهي في معبد آئينة في ملاصقة الحراب الذي يقع إلى يسار الداخل . ولقد دفن أهل سايس كل الملوك الذين نشأوا في هذا الأقليم في داخل المعبد . ومقبرة أمازيس أبعد عن الحراب من مقبرة أپريس وأسلافه ، ولكنها هي الأخرى على أية حال في ساحة المعبد ، وهي عبارة عن رواق كبير من الحجر مزين بأعمدة تحاكي شجر النخيل ، وبساتر الزخارف الغالية . ويوجد في الرواق من الداخل بابان منفصلان ، ووراء هذين البابين القبر .

١٧٠ — ويوجد كذلك في سايس في حرم معبد آئينة قبر من لا أعتقد أن من التقي أن أذكر إسمه في هذا الصدد . والقبر قائم وراء الهيكل ويشغل كل الحائط الخلفي لمعبد آئينة . وتقوم في حرم المعبد كذلك مستلتان ضخمتان من الحجر ، ويوجد بجوارهما بحيرة مزينة بحافة من الحجر ، وهي مهيأة على وجه حسن على شكل دائرة ، ومساحتها تعادل فيما يخيل إلى مساحة البحيرة التي تسمى « البحيرة المستديرة » في ديولوس .

١٧١ — وفي هذه البحيرة يقوم المصريون بالليل بتمثيل آلامه التي يسميها المصريون أسراراً . وبالرغم من معرفتي التامة بكل من هذه المراسم فإنني سألتزم الصمت الخاشع بشأنها . أما فيما يتعلق بعيد ديميتير الذي يسميه اليونانيون ثسموفوريا^(١) فسألتزم الصمت الخاشع بشأنه أيضاً إلا فيما يمكنني أن أصفه من مراسمه . وبنات دناؤس هن اللاتى أدخلن هذا العيد من

(١) هو عيد ديميتير الفتنة ، كانت الآئينيات تحيئته في الحريف .

مصر ، وعلمته للنساء اليبلاسيات . ولكنه ضاع بعد ذلك عند ما أجلى دناؤس عن البيلوپونيز بأسره على يد الدورين . وإحفظ به الأركاديون وحدهم لأنهم هم الذين بقوا من البيلوپونيزيين ، ولم يجأوا عنه .

١٧٢ — وبعد أن قُتل أڤريس على هذا النحو تولى أمازيس الملك ، وكان ينتمى إلى مقاطعة سايس . أما المدينة التي نشأ منها فإسها سيوف . ولقد ازدراه المصريون أول الأمر ولم يقيموا له وزناً على الإطلاق . لأنه كان من قبل من عامة الشعب ، ولم ينحدر من بيت شهير . وأسترضاهم أمازيس فيما بعد بحكمة ولفظ . فقد كانت عنده تحف مختلفة لا تحصى من بينها طست ذهبي لنسل الأقدام كان أمازيس نفسه وضيوفه جميعاً يفسلون فيه أقدامهم في بعض الأحيان ، فكسره وصنع منه تمثالاً لإله وأقامه في أنسب مكان من المدينة . وجعل المصريون يتوجهون للتمثال ويعظمونه تعظيماً كبيراً . ولما علم أمازيس بسلوك أهل المدينة هذا . إستدعى المصريين وبين لهم أن التمثال متخذ من طست ، وأن المصريين كانوا فيما مضى يثقون في الطست ويفسلون فيه أقدامهم ، وهم الآن يخشعون له خشوعاً عظيماً . ثم مضى في حديثه قائلاً إن أمره مثل أمر الطست ، فإنه كان حقاً فيما مضى من عامة الشعب ولكنه الآن ملكهم ، وأمرهم بتعظيمه وتبجيله . وبهذه الطريقة إسترضى المصريين حتى قبلوا الخضوع له .

١٧٣ — وكانت شثونه اليومية منظمة على هذا النحو . يصرّف باجتهاد ما يُعرض عليه من شثون من الصباح المبكر إلى وقت إكتظاظ

السوق ، ومن ذلك الوقت يشرب ويمزح مع خلانه ويكون ماجناً عابثاً .
 وضاق أصدقاءه بهذا السلوك ولاموه قائلين « أيها الملك إنك لا تحكم نفسك
 بطريق الصواب ، إذ أنك تدفعها إلى هذا العبث الشديد ، وينبغي لك
 أن تجلس مهيباً على عرش مهيب ، وتصرف شئون الدولة طوال النهار ،
 فعندئذ فقط يعلم المصريون أن رجلاً عظيماً يحكمهم ، فيكون له صيت أبدي
 بينهم . أما الآن فإن ما تفعله لا يليق بملك على الإطلاق » . فأجابهم أمازيس
 قائلاً « إن أصحاب الأقواس إذا احتاجوا إلى استعمالها شدوها ، فإذا فرغوا
 من استعمالها أرخوها . لأنها إذا ظلت طوال الوقت مشدودة انقطعت فلا
 يستطيع أصحابها استعمالها في وقت الحاجة . وهذا شأن طبيعة الإنسان تماماً .
 إذا أراد أن يكون جاداً دائماً ولم يسمح لنفسه باللهو بعض الوقت فإما أن
 يجن دون أن يشعر أو يصبح مخبولاً . وإني أعلم هذه الحقيقة ولذلك أفرد
 جزءاً من وقتي لكل من الأمرين » . هكذا أجاب أصدقاءه .

١٧٤ - ويقال إن إماماً كان محباً للخمر والمزاح حتى حينما كان
 فرداً من عامة الشعب . وكان كلما أعوزته ضرورات الحياة من جراء سكره
 ومجونه ، يطوف بالمدن وينهب الناس . وكان الناس يتهمونه بأنه هو الذي
 سطا على ممتلكاتهم ، وكانوا عند ما ينكر يسوقونه إلى أقرب وحى إليهم
 وكثيراً ما أدانه الوحي وكثيراً ما برأه أيضاً . ولما تولى الملك تصرف كما يأتي:
 لم يأبه لما بدت تلك الآلهة التي أفتت بأنه بريء ولم يهيب لها شيئاً لإصلاحها
 ولم يزرها للتضحية ، لأنه اعتبرها غير أهل لشيء وكاذبة النبوءات . أما

الآلهة التي أُنعت. بأنه سارق فقد عنى بها أشد العناية باعتبار أنها آلهة حقاً
تصدر نبوءات صادقة (١).

١٧٥ - وابنتى أولاً صرحاً رائعاً لمعبد آثينة فى سايس يفضل جميع
الصروح بكثير فى إرتفاعه وضخامته كما يفضلها فى ضخامة أحجاره ونوعها ،
ثم أقام تماثيل ضخمة وآباء هول ماردة ، وأحضر فضلاً عن ذلك حجارة
بالغة الضخامة للترميم ، أحضر بعضها من مقالع الأحجار التى فى منف
وبعضها الآخر المفرط الضخامة من مدينة الفتين وهى على مسافة إجماع عشرين
يوماً من سايس . وأشد ما إسترعى عجبى من هذه الأحجار ، حجر هذا
وصفه : حُجرة من حجر واحد أرسله من مدينة الفتين ، وقد أحضره فى
ثلاث سنوات ، واستخدم فى جرّه عشرين ألف عامل ، كلهم من طبقة
الملاحين ، وطول هذه الحجرة من الخارج إحدى وعشرون ذراعاً ، وعرضها
أربع عشرة ذراعاً ، وإرتفاعها ثمان أذرع . هذه هى الأبعاد الخارجية للحجرة
المكونة من حجر واحد أما من الداخل فطولها ثمان عشرة ذراعاً وعشرون
أصبعاً وعرضها إثنتا عشرة ذراعاً وإرتفاعها خمس أذرع ، وهى تقع بجانب
مدخل المعبد ويقولون إنها لم تسحب إلى الداخل لهذا السبب : كان رئيس
البنائين يسحب الحجر فتهدل طول ما إستغرق العمل من وقت ولأنه ناء بالعمل
فتوجس أمازيس ولم يسمح بسحبها إلى أبعد مما وصلوا بها . هذا ويذهب

(١) وجدت قصة تصور حجب إمازيس للخمر فى ورقة بردية ديموطيقية من ذلك العصر

البعض إلى أن واحداً من الذين كانوا يرفعونها تهشم تحتها ، ولذلك لم تسحب إلى داخل المعبد .

١٧٦ - وأقام أمازيس كذلك في سائر المعابد الهامة كلها نصيباً جديرة بالمشاهدة لضخامتها ، منها تمثال ضخيم ملقى على ظهره أمام معبد هيفايستوس ، طوله خمسة وسبعون قدماً . ويقوم على قاعدة هذا التمثال نفسها تمثالان ضخمان من الحجر الحبشى ، كل منهما حجمه عشرون قدماً وكل منهما في أحد جانبي التمثال الكبير . وهناك تمثال آخر حجري بهذا الحجم في سايس ملقى مثل التمثال الذى فى منف . وأمازيس هو باني معبد إيزيس فى منف ، وهو كبير الحجم ، يستحق المشاهدة كل الاستحقاق .

١٧٧ - ويقال إن مصر كانت فى عهد أمازيس شديدة الرخاء ، وذلك من حيث ما يصيب الأرض من النيل وما يصيب الناس من الأرض جميعاً ، وأنه كان فيها فى ذلك العصر ألف مدينة عامرة على الجملة . وأمازيس هو الذى وضع للمصريين هذا القانون الذى ينص على أنه على كل فرد من المصريين أن يبين كل سنة لحاكم الإقليم مورد عيشه ، فإذا لم يفعل ولم يثبت أن له مورد عيش خلال عوقب بالموت .

ولقد أخذ صولون^(١) الآثينى هذا القانون عن مصر ووضعها للأثينيين

(١) المصراع الآثينى ، عاش من ٦٤٠ - ٥٥٨ ق . م . وكان حاكماً فى آثينا سنة ٥٩٤ ق . م . فلا يمكن أن يكون قد اقتبس تفسيراته من قوانين أحس الذى صار ملكاً سنة ٥٦٩ ق . م .

وهم يعملون به إلى الآن ، فهو قانون لاعيب فيه .

١٧٨ — وصار أمازيس محباً لليونانيين ، ومنح بعضهم إمتيازات .
أهمها أنه منح الذين هاجروا إلى مصر نوقراطيس ليسكنوها ، أما الذين لم
يشاءوا منهم سكنها ، وكانوا يزورونها فقط ، فقد وهبهم أراضى لينتوا
عليها هياكل ومعابد لآلهتهم . وأعظم هذه المعابد وأشهرها وأكثرها
زواراً هو الهيلينيوم فقد ساهمت في بنائه هذه المدن : خيوس ، وتيوس ،
وفوكايا ، وكلازوميناي من المدن الأيونية ، ورددس ، وكنيدوس ،
وهاليكارناسوس ، وفاسيليس من المدن الدورية ، ومدينة أبوليه واحدة
هى ميثيليني . هذا المعبد إذن تابع لهذه المدن ، وهى التى تعين موظفى
الميناء التجارية . أما المدن الأخرى التى تدعى نصيباً لنفسها فيه ، فهى
تدعى شيئاً ليس لها فيه نصيب . وانفرد أهل إيجينا ببناء معبد خاص بهم
لزيوس ، وإبنتى الساموسيون معبداً لهيرا ، والملطيون معبداً لأبولو .

١٧٩ — وكانت نوقراطيس فى العصر القديم الميناء التجارية الوحيدة
ولم يكن فى مصر ميناء غيرها . فإذا رسى أحد فى أى فرع آخر من فروع
النيل تحتم عليه أن يقسم أنه لم يأت راضياً ثم بعد أن يقسم عليه أن يبحر
بمركبه وما عليها إلى الفرع الكانوبى ، فإذا استحال الإبحار لهبوب رياح
مضادة وجب عليه أن ينقل حمولة سفينته فى قوارب حول الدلتا إلى أن
يصل إلى نوقراطيس ، وهكذا كانت لنوقراطيس مكانة متميزة .

١٨٠ — ولما تعاقد الامفيكتيونيون^(١) على بناء المبد القائم الآن في دلفي بمبلغ ثلثمائة طالنت ، إذ تصادف أن احترق المبد الذى كان في مكانه فيما سبق ، وتعين على أهل دلفي أن يؤدوا ربع المبلغ المتعاقد عليه ، طفقوا يزورون المدن ، وجمعوا في هذه الزيارات من مصر لا أقل مما جمعوا من البلدان الأخرى ، ذلك أن أمازيس وهبهم ألف طالنت من الشب ، وأعطاهم اليونانيون المقيمون في مصر عشرين مناً

١٨١ — وعقد أمازيس معاهدة صداقة مع القورينائيين وشاء أن يتخذ زوجة منهم ، وذلك إما لأنه اشتهى زوجاً يونانية أو من أجل صداقته للقورينائيين . مهما يكن من شىء فقد تزوج من إبنة باتوس بن اركيسيلوس في قول البعض وإبنة كريتوبولوس وهو مواطن شهير في قول البعض الآخر ، وكان إسمها لاديكي . ولما جاء أمازيس لإتيانها لم يجد من نفسه قدرة على ذلك ، مع أنه كان قادراً على إتيان نسائه الأخريات . ولما تكرر ذلك كثيراً خاطب الملك زوجه لاديكي قائلاً « أيتها المرأة ، إنك قد سحرتى ولا شك ، فتيقنى الآن أنك لا بد ستهلكين أشنع مما هلكت امرأة من قبل » . واحتجت لاديكي عبثاً ببراءتها ، ولكن أمازيس لم يلن وعندئذ نذرت في سرها لأفروديت أنها إذا ضاجعت زوجها في الليلة المقبلة ، إذ لم يكن قد بق لها من الوقت أكثر من ذلك ، فإنها ستهدى الإلهة تمثالاً في قورينة .

(١) الكلمة معناها « المجاورون » وهو اسم حلف من المدن الواقعة في الشمال المشرق من بلاد اليونان .

وجامعها إماما زيس بعد صلاتها مباشرة ، ومنذ ذلك الحين كان يأتيها كلما ضاجعها . وأصبح أمازيس يحبها حباً شديداً منذ ذلك الحين . ووفت لاديكي بندرها ، فأمرت بصنع تمثال وأرسلته إلى قورينة . ولا زال التمثال إلى يومنا هذا قائماً مستديراً بوجه المدينة ومتجهاً إلى الخارج . أما عن لاديكي نفسها فإنه عند ما غزا قبيز مصر وعلم من هي أرسلها إلى قورينة دون أذى .

١٨٢ - وأرسل أمازيس أيضاً نصيباً إلى بلاد اليونان ، فأرسل إلى قورينة تمثالا لآثينة مكسواً بالذهب ، وصورة له مرسومة ، وأرسل إلى آثينة في ليندوس تمثالين من الحجر ومشداً للصدر من الكتان كلها جديرة بالمشاهدة . وأرسل كذلك إلى ساموس باسم هيرا تمثالين لنفسه من الخشب لا يزالان قائمين في المعبد الكبير وراء الأبواب إلى زمانى هذا . وأرسل الهدايا إلى ساموس تعريزاً لصلوات الود بينه وبين بوليقراتيس^(١) بن أيا كيس . وليس من أجل صلوات ود ما أرسله إلى ليندوس ، بل لأن معبد آثينة في ليندوس كان قد ابتناه فيما يقال بنات دناؤس حينما حططن هناك أثناء هربهن من وجه أبناء ايجيبتوس . هذه هي الهدايا التي قربها أمازيس وهو أول من استولى على قبرص وأخضعها وفرض عليها الجزية .

(١) هو طاغية ساموس، حكمها من سنة ٣٢٠ إلى سنة ٥٢٢ ق.م. وأنشأ أسطولاً بحرياً عظيماً ، سيطر به على الجزر المجاورة له ، ووطد الصداقة بينه وبين أحس .

أسماء المدن

الموقع الآن	البلدية
مدينة في الدلتا في إقليم روسويس	٤ اتاريخييس
تل اتريب بالقرب من بنا	١٦٦ أتريبيس
مدينة في الدلتا بين الفرع الكانوبي ونوقراطيس	٩٨ ، ٩٧ أرخانديروس
الجيل الأحمر	١١١ إريثرابولوس
أسوان	٢٨ أسوان
موقعها غير معروف	١٦٦ أفتيس
جزيرة في الدلتا موقعها غير محقق	١٤٠ إلبو
جزيرة الفنتين في مقابلة أسوان	١٧ ، ١٨ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٦٩ ، ١٧٥ الفنتين
مدينة بين الفرع الكانوبي ونوقراطيس	٩٨ ، ٩٧ أتيللا
تل بليم شمال غرب القنطرة	١٣٧ انيسيس
تل بلال في الجنوب الغربي من دكرنس	١٦٦ أونوفيس
قد تكون جزء من تل الفرما	٥٩ ، ٦٣ ، ٧١ ، ١٦٥ يابريس
تل المسخوطة بالقرب من أبي صور	١٥٨ باتوموس
تل بسطه بالقرب من الزقازيق	٥٩ ، ٦٠ ، ٦٧ ، ١٣٧ ، ١٣٨ بوياسطيس
كوم القراعين بالقرب من إبطو	٥٩ ، ٦٣ ، ٦٧ ، ٨٣ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٥٦ بوطو
أبو صير بانا جنوب سمبود	٥٩ بوسيريس
تل القرما	١٥ ، ١٤١ ميلوزيوم

الموقع الآن		للمدينة
صان الحجر	١٦٦	ثانيس
تل تمالى الأمديد	١٦٦	ثمؤيس
جزيرة بالقرب من بوطو	١٥٦	خميس
أخميم	١٦٥ ، ٩١	خميس
كوم دفنا ، غرب القنطرة	١٠٧ ، ٣٠	دفناى
صا الحجر	١٣٠ ، ٦٢ ، ٥٩ ، ٢٨ ، ١٧٠ ، ١٦٥ ، ١٦٣ ، ١٥٢ ، ١٧٦ ، ١٧٥ ، ١٧٢	سايس
صنود	١٦٦	سينيتوس
مدينة فى مقاطعة سايس	١٧٢	سيوف
الأفصر	٥٧ ، ٥٥ ، ٥٤ ، ٩٤ ، ٣ ، ١٤٣ ، ٦٩	طيه
هوريط شمال شرق الزقازيق	١٦٦	فاريثوس
كرم سمعدى فى الشمال الشرقى من الاسكندرية	٩٧ ، ١٥	كانوبوس
قد تكون الوراق	٩٧ ، ١٧ ، ١٥	كر كاسورس
على شاطئ مريوط تجاه مقام سيدى كبير	٣٠ ، ١٨	ماريا
مدينة الفيوم	١٤٨ ١٤ ، ١٠ ، ٨ ، ٣ ، ٢ ، ١١٤ ، ١١٢ ، ٩٩ ، ٩٧	مدينة التمساح
ميت رهينة	١٥٠ ، ١١٩ ، ١١٥ ، ١٥٨ ، ١٥٤ ، ١٥٣ ، ١٧٦ ، ١٧٥	منف
تل الربع	١٦٦	متديس
كوم أبو بيلو	١٦٩ ، ١٦٣	مومفيس

الموقع الآن		المدينة
موقعها غير معروف	١٦٦	ميكفوريس
كوم جيف بالقرب من قراش	١٧٩ ، ١٧٨ ، ١٣٥ ، ٩٧	نوقراطيس
النشاه	٩١	نيا پوليس
الأشمونين	٦٧	هرموبوليس
الطرية	٧٣ ، ٦٣ ، ٥٩ ، ٩ — ٧ ، ٣	هيليوبوليس

أسماء الآلهة

الإله في المصرية		الإله في اليونانية
نيث	١٥٣	إيافوس
حورس	١٧٨، ١٥٩	أبوللو
نيث	١٨٢، ١٧٠، ١٦٩، ٨٣، ٥٩، ٢٨	آثينة
باسط	١٥٦، ١٣٧، ٨٣، ٦٠، ٥٩	أرتميس
شو	٨٣، ٦٤، ٦٣، ٥٩	آريس
هاتور	٤١	إيو
مين	١٤٦، ١٤٥، ٤٦	پان
مين	٩١، ١٥	پرسیوس
إيزيس	١٧١، ١٥٦، ١٢٣، ١٢٢، ٥٩	ديميتر
أوزيريس	١٤٦، ١٤٤، ٥٢، ٤٩، ٤٧، ٤٢، ٢٩	ديونيسوس
آمون	٨٣، ٧٤، ٥٥، ٤٤، ٤٢، ٢٩، ١٣	زيوس
نخبت	١٨٢، ١٧٨، ١٤٦، ١٣٦، ١١٦	سيليني (القمح)
ست	٤٧	طيفون
بوتو	١٥٦، ١٥٥، ١٥٢، ٨٣، ٥٩	ليطو
خنسو	١١٣، ٨٣، ٤٤، ٤٢، ٣٣	هرقل
توت	١٤٥، ١٣٨، ٥١	هرمس
رع أو آتوم	٧٣، ٥٩	ميليوس (الشمس)
بتاح	١١٢، ١١٠، ١٠٨، ١٠١، ٩٩، ٤٣	هيفايستوس
	١٧٦، ١٥١، ١٤٧، ١٤١، ١٣٦، ١٢١	

المقاييس

القدم	= ١٢	= ٣٠,٨٨	من المتر	و ١٦	من البوصة
ذراع ^(١)	= ١٢	= ٤٦٣٢	من المتر		
باغ	= ٦	= ١,٨٥٣	متراً		
بليثرون	= ١٠٠	= ٣٠,٨٨	متراً		
ستاد	= ٦٠٠	= ١٨٥,٣	متراً		
فرسخ	= ٣٠	= ٥,٥٦	كيلومتراً		
سخينوس	= ٦٠	= ١١,١٢	كيلومتراً		

رحلة يوم برأ	= ١٥٠	= ٢٨	كيلومتر تقريباً
رحلة يوم بحراً	= ٧٠٠	= ١٣٠	» »
رحلة ليلة بحراً	= ٦٠٠	= ١١١	» »

التقد

للن	= ١٠٠	دراخمة
طالنت	= ٦٠	منأ
	= ٢٤٠	جنياً تقريباً

وهذه كانت تستعمل بهذه النسب عينها كوازين ، وللن (وزن)
= ١٢ رطلا .

- (١) الذراع المصرية تساوى ٥٢٥ و . من المتر وهي تساوى بالنسبة إلى الذراع الاوليمنية ١٧ إلى ١٥ وهذه هي الذراع التي كان يستعملها المصريون في مساحة الأرض وقياس ارتفاع النيل .
- (٢) وهذا يساوى خمس عقد بحرية تقريباً . الستاد في البحر يساوى ١/٢ دقيقة عرض أو ١/٣ من درجة العرض .

فهرس

٨٣، ٦٤، ٦٣، ٥٩	آريس	١٥٣	إلفافوس
١٥٦	أزوتوس	١٦٩، ١٦١	أپريس
٣٣، ٣٢	اسارحادون	١٧٨، ١٥٩	أبوللو
١١٧، ١١٣	إسبرطه	٧٩، ٧٥	أبو منجل
٣٠	أسماخ	١٥٣، ١٨	أبيس
٢٨	أسوان	٤١	اتاريخييس
١١٧، ١٠٣، ١٧، ١٦	آسيا	١٦٦	أثرييس
١٣٦	اسيخييس	٥١	آئينا
١٧	آشور	١٦٩، ٨٣، ٥٩، ٢٨	آئينة
١٥٠، ١٤١، ٣٠، ١٧	آشوريون	١٨٢، ١٧٠	آئينيون
١٦٦	أفتيس	١٧٧، ٥١	أجاش
١٨١، ١١٢، ٤١	أفروديت	١٣٧، ١٤٠، ٣٩، ٣٢	— ١٤٠
١١٢	أفروديسوم	١٢٠	أخائون
١٤٨، ١٠	إفسوس	١٠	أخيلوؤس
١٩	أكرنانيا	١٠	أخيناديس
١٥٨، ١٠٢، ١١، ٨	البحر الأحمر	١٣٧، ٨٣، ٦٠، ٥٩	أرتيميس
١٥٩	إلبو	١٥٦	—
١٤٠	إلبو	٩٨، ٩٧	أرغاندروس
١١٧ — ١١٣	الاسكندر	١٣٥	أرخيديكي
١٥٨، ١٠٢، ١١	الخليج العربي	١٧١	أركاديس

٣٣، ٣٢	ايتيارخوس	١٧٥، ٦٩، ٢٨، ١٧، ٩	الفنتين
١٣٤	ايسوپوس	١١١	الطى الأجر
١٢٢، ٦١، ٥٩، ٤٢، ٤١	إيزيس	١٤٥، ٤٣	ألكسنة
١٧٦، ١٥٦، ١٢٣		١٦٠	إلياثيون
٣٤، ٣٣، ٢٦	ايستر (الطونه)	١١٧، ١١٦	إلياذة
٣٣	إيستريا	١٦٣ - ١٦١، ١٥٤	أمازيس
٤١	إيو	١٨٢، ١٧٦ - ١٧٢، ١٦٩	
١٥٦	إوفوريون	٤٣	أمفيتريون
١٠٦	أيونية	١٨٠	أمفيكتيون
٦٩، ١٧ - ١٥، ١	أونيون	٥٥، ٤٢	آمون
١٧٨، ١٥٤، ١٠٢		٤٢، ٣٣، ٣٢	آمونيون
		١٤٠	أميرتايوس
١٠٩	بابل	٩٨، ٩٧	أثيلا
١٦٥، ٦٣، ٥٩	پاريميس	١٦٦، ١٤٠، ١٣٧	أنيسيس
١٦٢	پاتارييميس	١١٦	أوديسية
١٥٨	پانوموس	١٠٣، ٣٣، ٢٦، ١٦	أوروبا
١٠٤	پارثنيوس	٨١	أورفية
١٤٦، ١٤٥، ٤٦	پان	١٤٤	أوروس
١١٣، ٩٧	بحر إيجة	١٢٣، ٤٨، ٤٧، ٤٢	أوزوريس
١٥٩	برانخيداي	١٥٦، ١٤٦ - ١٤٤	
٩٢، ٧٣	بردى	٢٣، ٢١	أوقيانوس
٩١، ١٥	پرسوس	١٦٦	أونوفيس
١٢١ - ١١٢	پروتوريوس	١٣٤	إيادمون

۱۴۱، ۳۶، ۱۷، ۱۵	یلوزیوم	۱۶۵، ۴۱	پروسویتیس
۱۵۴،		۱۴۳	پرومیس
۱۴۶، ۱۴۵	بینیلوی	۱۲۰	پریاموس
۴۹،	یوشیا	۱۶۰	بسامیس
۲۹	تاخومبسو	۱۵۱، ۳۰، ۲۸، ۲	بسپاتیک
۱۶۶	تانیس	۱۵۸، ۱۵۷، ۱۵۵ -	
۱۶۷، ۱۳۴، ۱۱۳	تراقیا	۷۷	بط
۱۲۰	تروئیس	۱۳۲ - ۱۲۹، ۴۱، ۱۸	بقرة
۱۱۶	تلباخوس	۱۹، ۱۵، ۱۲، ۸،	بلاد العرب
۷۰ - ۶۸	تمساح	۱۲۴، ۷۵، ۷۳	
۱۱۲	تینداروس	۹۱، ۵۶، ۵۰،	بلاد اليونان
۱۰	تیوثرانیا	۱۸۲، ۱۳۵، ۱۱۴، ۱۰۴	
۱۷۸	تیوس	۶	بلیتی
۱۱۸	تیوگریون	۱۵۶، ۱۳۷، ۵۹، ۴۹	یوباسطیس
۴۴	تاسوس	۱۶۶	
۱۰۴	ترمودون	۷۵، ۶۷، ۶۳، ۵۹	یوپو
		۱۳۳، ۱۱۱، ۸۳	
		۶۰، ۵۹، ۴۰	یوسیریس
		۵۰، ۴۳	پوزیدون
۱۷۱	تسموفوریا	۱۷	پولیتی
۷۵، ۷۴	ثعبان	۱۱۶	پولیدامنا
۱۶۶	تھیس	۱۸۲	پولیتراطیس
۵۰	تھیس	۷	یپسا
۱۱۴، ۱۱۳	تونیس	۱۷۱	ییاپونیز

دیوسقوروی ۴۳ ، ۵۰	۹۱	جورجو
دیومیدیس ۱۱۶		
دیونیسوس ۴۲، ۲۹، ۴۷ — ۴۹	۱۱۰ ، ۳۰ ، ۲۸ ، ۱۱	حبشه
۱۴۶ — ۱۴۴ ، ۵۲	۱۱۴ ، ۱۳۹ ، ۱۴۶ ،	
دیمتیر ۱۷۱، ۱۵۶، ۱۲۳، ۱۲۲	۱۶۱	
رامبسنیتوس ۱۲۱ ، ۱۲۲ — ۱۲۴	۱۶۴	حرف
رودویس ۱۳۴ ، ۱۳۵	۷۴	حیه
رودس ۱۷۸		خارا کسوس ۱۳۵
زیت الخروع ۹۴	۱۲۷ ، ۱۲۸	خفرع
زیوس ۱۳ ، ۲۹ ، ۴۲ ، ۴۴	۱۶۵ ، ۱۵۶ ، ۹۱	خمیس
۱۱۶ ، ۸۳ ، ۷۴ ، ۵۵	۴۷ ، ۱۴	خزیر
۱۸۲ ، ۱۷۸ ، ۱۴۶ ، ۱۳۶	۱۵۱	خوزه
	۱۷۸ ، ۱۳۵	خیوس
سارداناپالوس ۱۵۰	۱۵۸ ، ۱۱۰	دارا
ساردیس ۱۰۶	۱۰۷ ، ۳۰	دافنای
ساقو ۱۳۵	۹۱	دانای
ساموئراکیا ۵۱	۹۸ ، ۹۱	داناؤس
ساموئراقیون ۵۱	۴۱ ، ۱۸ — ۱۵ ، ۱۳	دلنا
ساموس ۱۸۲، ۱۷۸، ۱۶۸، ۱۴۸	۱۷۹ ، ۹۷ ، ۵۹	
سایس ۱۳۰ ، ۶۲ ، ۵۹ ، ۲۸	۴۱ ، ۱۸ — ۱۵ ، ۱۳	دلفی
۱۶۹ ، ۱۶۳	۱۷۹ ، ۹۷ ، ۵۹	
سباکو ۱۳۷ — ۱۳۹ ، ۱۵۲	۵۸ ، ۵۷ ، ۵۵ ، ۵۲	دودونا
سینیتوس ۱۷ ، ۱۵۵ ، ۱۶۶	۱۷۸	دوریون

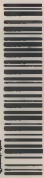
١٤٥، ١٢٠	طروادة	٦	سربوني
٥٦ — ٥٤، ١٥، ٩، ٣	طيه	١٣٥	سكاماندرونيوس
٩١، ٧٤، ٦٩، ٥٨		١٦٧، ١١٠، ١٠٣، ٢٢	سكثيا
١٦٦، ١٤٣		١٠٣	سكثيون
١٥٦، ١٤٤	طيفون	٩٢، ٧٧، ٧٢، ٣٧	سمك
		١٤٩، ٩٣	
١٦٦	فاريثوس	١٠٦	سميرنا
	فارناسيس ١	١٤٦، ١٤٥	سميلي
١٠٣	فاسيس	١٤١	سنخاريب
١٧٨	فاسيليس	١٠٤، ٣٠، ٢٠، ١٢	سوريا
٥١، ٤٩، ٤٨	فالوس	١٥٩، ١٠٦	
٣	فريجيون	٣١	سولوتيس
١٧٨، ١٠٦	فوكايا	١٤١	سيثوس
١١١	فيروس	١٥٠، ٣٢	سيرتيس
١٢٨	فيلتيون	١٠٦، ١٠٤ — ١٠٢	سيسوستريس
٥٤، ٤٩، ٤٤، ٣٢	فينيقية	١١١، ١١٠، ١٠٨ —	
٧٩، ٥٦		١٣٧	
١٠٤، ١١٦، ١١٢	فينيقيون	٣٤	سينوب
		١٧٢	سيوف
١٨٢، ١٨٠، ١٧٥، ١٣٥	قربان		
٦٧، ٦٦	قط	١٦١، ١١٢، ٤٤	صور
١	قميز	١٧٧	صولون
١٥٨، ١٠٨	قنوات	١٦١، ١١٦	صيدا

۱۷۰، ۱۱۱	مسله	۴۹، ۴۵	کادمیون
۱۷۸، ۱۵۹، ۳۳	ملطیة	۱۴۹	کادیسیس
۱۰۶	ممنون	۱۶۸ - ۱۶۴	کلاسیریس
، ۱۴ - ۱۲، ۱۰، ۸، ۳	منف	۱۷۹، ۱۱۳، ۱۷، ۱۵	کانوبی
، ۱۱۵، ۱۱۲، ۹۹، ۹۷		۹۷، ۱۷، ۱۵	کراسوروس
، ۱۵۳، ۱۵۰، ۱۱۹		۹۴	کیکی
۱۷۶، ۱۷۵، ۱۵۸، ۱۵۴			
۱۳۶، ۱۳۳ - ۱۲۹	متفرع	۱۴۸	لا بیرث
۱۴۵، ۴۶، ۴۴	مندیس	۱۸۱	لادیکی
۲۸	موفی	۱۵ - ۲۴، ۱۸ - ۲۶	لییا
۱۰۱، ۱۳	موتفیس	۵۴ - ۷۷، ۶۵، ۵۶	
۱۴۹، ۱۴۸، ۶۹، ۴	موریس	۱۵۰، ۱۲۴، ۹۹، ۹۱	
۱۳۵	میتیلینی	۱۶۱، ۱۵۸	
۹۹، ۴	مینا	۱۵۵، ۱۵۲، ۸۳، ۵۹	لیطو
۱۱۹، ۱۱۸، ۱۱۶، ۱۱۳	مینیلوس	۱۵۶	
۱۶۶	میکفورس	۷۹	لینوس
۴۹	میلامبوس		
		۱۵۹	ماجدولوس
		۳۰، ۱۸	ماریة
۱۶۵	ناتوس	۱۰۴	ما کرونیون
۳۳، ۳۲	ناسونیون	۷۹	مانیروس
۱۸۰ - ۱۷۸، ۱۳۵، ۹۷	نوقراطیس	۳۹	مایاندر
۹۱	نیا پولیس	۹۱	مباریات
۱۰۰	نیتو کریس	۱۷۸، ۱۵۴	مرزقه
۱۴۶	نیسا	۲۹	مروی

۱۷۸	هیرا	۱۵۹، ۱۵۸، ۱۵۲	نیقوس
	هیسیدوس ۵۳	۱۵۰	نینوی
۱۰۸، ۱۰۱، ۹۹، ۳	هینا یتوس		حالیکار ناسوس ۱۷۸
۱۲۱، ۱۱۲، ۱۱۰		۱۱۳، ۸۳، ۴۴-۴۲، ۳۳	هرقل
۱۴۷، ۱۴۱، ۱۳۶		۱۴۵، ۱۳۸، ۵۱	هرمس
۱۷۶، ۱۵۱			هرموپولیس ۶۷
۱۴۳	هیکاتیوس	۷۳، ۵۹	هلیوس
۱۲۰	هیکتور	۷۳، ۶۳، ۵۹، ۹-۷، ۳	هلیوپولیس
۱۲۰-۱۱۵، ۱۱۳، ۱۱۲	هیلین	۱۱۷، ۱۱۶، ۵۳، ۲۳	هومپروس

۱۹۴۶/۶/۱/۱۷۱۷

Bibliotheca Alexandrina



0408997



اليمين ٢٠